السنة الثانية والعشرون . العدد ٢٤٣ . ذو القعدة ١٤٤٦ . حزيران ٢٠٢٥

22th Year Issue No: 243 - 2025

النجف الأشرف

الطب العدلي

حين تنطق الصمت الجثث

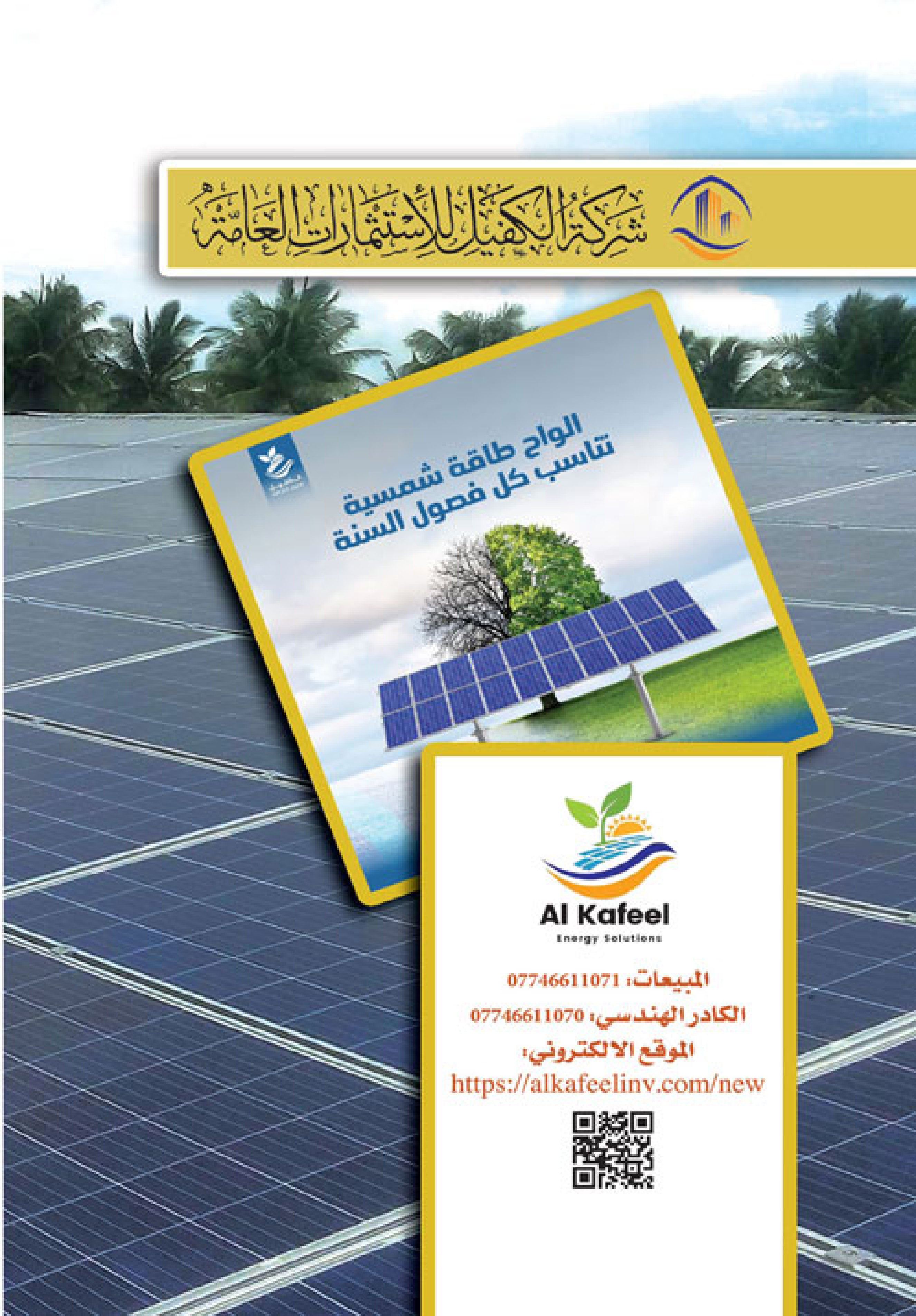
شركة الكفيل للاستثمارات العامة
الواح طاقة شمسية
تناسب كل فصول السنة
Al Kafeel
Energy Solutions
المبيعات: 07746611071
الكادر الهندسي: 07746611070
الموقع الالكتروني:
https://alkafeelinv.com/new

الطاقة الشمسية
حل وحيد لمشاكل عديدة

باشرت ملاكات شركة الكفيل للاستثمارات العامة في العتبة العباسية، بنقل تجربتها في استخدام الطاقة الشمسية إلى مشروع العوالي الزراعي في محافظة كربلاء المقدسة. وتعد "منظومات الطاقة الشمسية من أهم مصادر الطاقة الصديقة للبيئة، لكونها خالية من الانبعاثات"، مشيراً إلى أن "المواد الخاصة بالمنظومات يتم تجهيزها من مناشئ عالمية رصينة تطابق المواصفات المطلوبة، يتم فحصها قبل تركيبها فضلاً عن المتابعة المستمرة للمنظومات بعد التركيب من قبل ملاكات متخصصة

للطلب والاستفسار :

مراسلة الصفحة أو الاتصال على

الكادر الهندسي : 07746611070

المبيعات : 07746611071

مؤسسة المرتضى للثقافة والإرشاد

النجف الأشرف

شهرية- اجتماعية - ثقافية - عامة - أُسست في ٢٠ نيسان ٢٠٠٣

مجلة النخبة الثقافية العراقية

تصدر عن مؤسسة المرتضى للثقافة والإرشاد، رقم الاعتماد في نقابة الصحفيين (٤٠٠) لسنة ٢٠٠٩

العدد (٢٤٣) شهر ذي الحجة ١٤٤٦هـ

٦ حديث الصورة
تلال... لها تاريخ - تحسين عمارة

١٨ سطور
هل الفكر حاجة إنسانية! - محمد حسن المولى

٢٣ تحديات الشباب
علاقتي مع نفسي - محمد المشعشعي

٢٨ سطور
دمج ونصفه وشبهه - علي سعدون

٣٢ من الشرق
الحائري المؤسس - حسن جوادي

٤١ آلة الزمن
دولة بني عمار - باسم الساعدي

٥١ فلوكلور
أقسام المجتمع العراقي - عبد الحسين الساعدي

٧٩ قراءة في كتاب
الجنس البشري - عدنان الياسري

رئيس مجلس الإدارة: السيد محمد حسين العميدي
رئيس التحرير: ليث الموسوي
مدير التحرير: غيث شُبّر
الإخراج الفني: لبنان - بيروت - مقداد غرافيك - سوسن مقداد

شروط النشر في المجلة أن لا تكون المقالة منشورة سابقًا، وأن تكون بين ٥٠٠ إلى ٤٠٠٠ كلمة، وترسل للعناوين أدناه، مع السيرة الذاتية للكاتب. المجلة غير ملزمة ببيان سبب رفض المقال.

Website: www.alnajafalashraf.net
www.alnajafalashraf.org
E.mail: najafmag@gmail.com
P.O.Box: 365
مؤسسة المرتضى للثقافة والإرشاد النجف الأشرف
نهاية شارع الرسول(ص)

اتصل بمجلة النجف الأشرف
+ 964 780 779 0073
مجلة النجف الأشرف

الغشاشون

يحكى أن النظام الصحي في دولة تقع في وسط أفريقيا غير خاضع للرقابة الصارمة، وينتشر هناك افتتاح عيادات طبية من قبل أشخاص لا يمتلكون شهادة الطب، أو أحيانا يمتلكون شهادات طبية لكنها مزورة ومنسوبة إلى دول من خارج هذا البلد، والمصيبة الأدهى أن هؤلاء من مدعي الطب بارعون في مجال التسويق لانشغالهم به عن تحصيل العلوم فيشتهرون بالدعايات والإشاعات بين عوام الناس والسذج حتى تكاد صورتهم تطغى على الكثير من الأطباء الحقيقين!

وهذا الوضع المزري من الخدمات والبضائع المزيفة والرديئة أصبح هو سمة عامة لكل أصناف المهن، والعلوم، والاختصاصات، فصار لكل من هبّ ودبّ أن يدعي ما يدعي، ويجند مجموعة من البسطاء المخدوعين أو المحتالين الماكرين لنشر صورة براقة عنه، فيستحيل الثعلب أسدًا، والنفايات جواهر وحليًا!

هذه الظاهرة المستشرية في المجتمعات تشكل خطرا عليها وعلى صحتها، ويزداد الخطر بازدياد ندرة التخصص وفعاليته، فمن يمتهن الخياطة سوف يجعلك تخسر قماشك كما حصل لي قبل فترة مع مدعي خياطة وهو لا يفقه منها شيئا، أما الميكانيكي فحاله أصعب، وتستمر المعادلة حتى تمر بالديّانين، فالأمر فيها أشد وأدهى، ففضلا عن الدنيا وتعلق الدين بالأرواح والأموال، قد تكون الخسارة المرتقبة آخرة قبل أن تكون دنيا زائلة!

الحل ببساطة ترك كل ما أحاطه الريبة، والسير نحو ما تطمئن إليه نفوس أهل التخصص، وليس نفسك فحسب. فدع ما يريبك إلى ما لا يريبك وارتح من العناء.

غيث شبر

الحلقة الثانية

تلال... لها تاريخ

العصر الحجري المعدني (٥٢٠٠ ـ ٣٢٠٠ ق.م.)

المهندس الاستشاري تحسين عمارة

وهو العصر الذي يفصل بين العصر الحجري الحديث وعصر فجر التاريخ ويمكن وصفه بأنه عصر تمهيدي لقيام الحضارات التاريخية في مطلع الألف الثالث قبل الميلاد، وسمي بذلك لأن الإنسان استمر في صنع ادواته من الحجارة إلى جانب استخدام المعدن.

تل العبيد

يقع على بعد ٦ كيلومترات إلى الغرب من أور، تم التنقيب فيه من قبل بعثة إنكليزية في عام ١٩٢٣ ـ ١٩٢٤، ومن نتائج التنقيبات ظهر ان القرى الزراعية اتسعت وزاد عدد سكانها بدليل ازدياد عدد دور السكن وكثرة القبور وتطور المعابد. **(الصورة الأولى)**

وعثر في تل العبيد على فخاريات مصنوعة بالدولاب البطيء، والذي اعتبر بداية لصناعة أول آلة عرفها الإنسان. **(مراجعة موضوعنا في المجلة العدد ١٥٥)**

ووجدت اسكفية من النحاس وهي لافتة موضوعة على باب معبد مبني من الطوب والطين. **(الصورة الثانية والثالثة)**

واعتبر عصر العبيد وثقافة العبيد وهي ثقافة مستقرة جديدة انتشرت بالشرق الأوسط القديم، وفيها اكتشفت الآثار الأولى كما في تل العويلي جنوب العراق. **(الصورة الرابعة)**

الصورة: الأولى

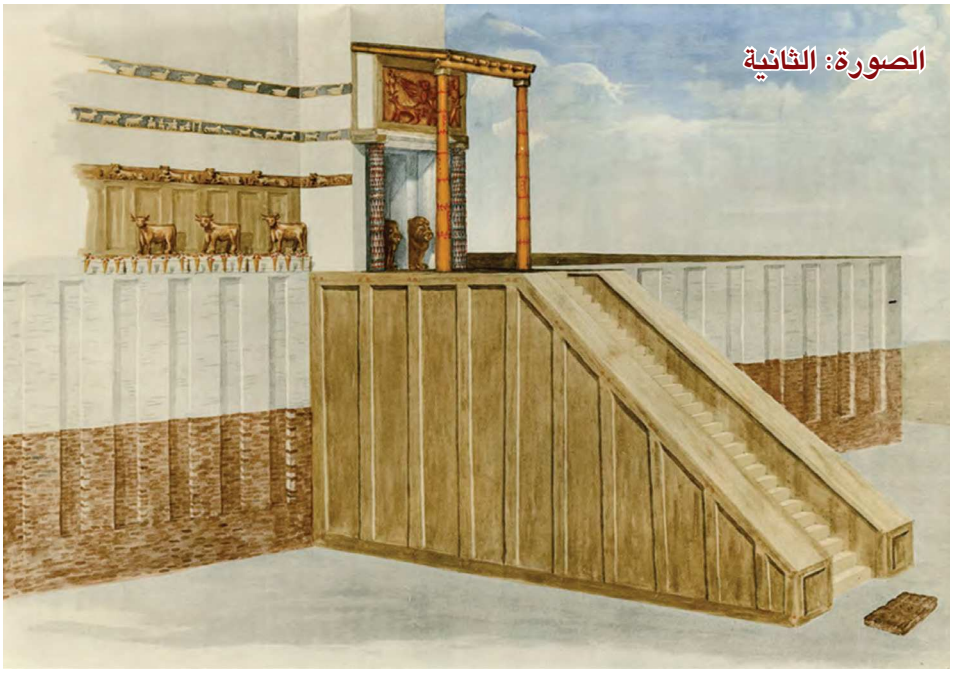

الصورة: الثانية

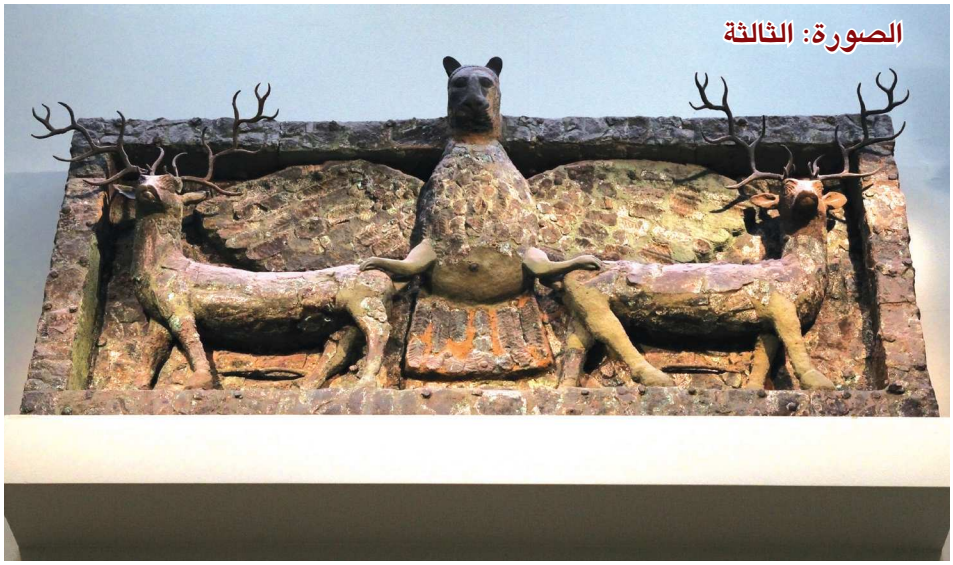

الصورة: الثالثة

الصورة: الرابعة

الصورة: الخامسة

الوركاء

الوركاء أو أوروك القديمة باللغة السومرية على الضفة الغربية من مجرى الفرات القديم، وبمسافة ٣٠ كيلو متر شرق مدينة السماوة. (الصورة الخامسة)

والوركاء أول مدينة متحضرة في تاريخ البشرية وأول بقعة في الأرض اكتشفت فيها الكتابة الصورية، (الصورة السادسة والسابعة) وتميزت آثارها بدور حضاري خاص سماه الآثاريون باسم دور الوركاء الذي

الصورة: السادسة

الصورة: السابعة

الصورة: الثامنة

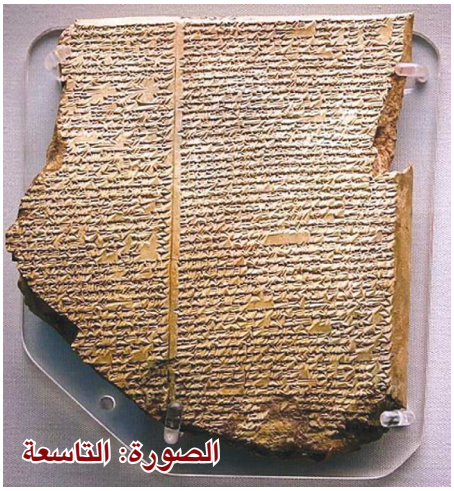
الصورة: التاسعة

يشمل الحقبة الممتدة من سنة ٣٨٠٠ ـ ٣٥٠٠ قبل الميلاد.

اشتهرت بكونها موطن عبادة الإلهة الشهيرة عشتار إلهة الحب والحرب، واشتهرت أيضًا في الآداب القديمة بكونها موطن البطل الشهير جلجامش المقرنة باسمه الملحمة الخالدة التي تعد أقدم مأثرة في الأدب العالمي كتب بصورة ملحمة شعرية. (**تاريخ حضارة وادي الرافدين ٣٤٩/٢**) (**الصورة الثامنة والتاسعة**)

تل حلف

يقع على نهر الخابور في محافظة الحسكة السورية بالقرب من قرية العين عند الحدود التركية. (**الصورة العاشرة الخارطة**)

نقبت فيه بعثة أثرية ألمانية قبل الحرب العالمية الأولى، يتميز عصر حلف في تاريخ حضارة العراق بظهور بداية استخراج المعادن واستعمالها في صنع الآلات والأدوات إلى جانب

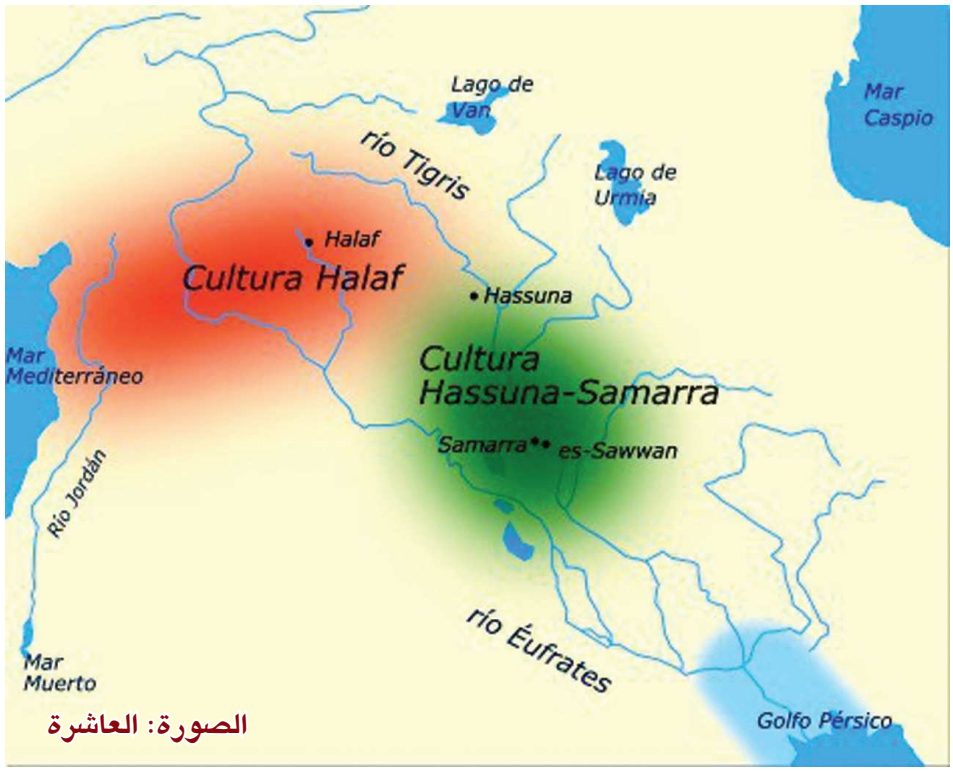

الصورة: العاشرة

الصورة: الحادية عشرة

الصورة: الثانية عشرة

الأحجار، لذلك أُطلق عليه العصر الحجري المعدني. (العراق في التاريخ ٥٧)

(الصورة الحادية عشرة)

وسمي عصر حلف الذي انتشرت المستوطنات فيه في رقعة واسعة من

الصورة: الثالثة عشرة

العراق حتى ان آثاره وجدت في أكثر من ٢٠٠ موقع ومن المحتمل ان مواقع أخرى ما تزال تنتظر معاول المنقبين.

وأبرز ما يميز هذا العصر الأواني الفخارية الجميلة ذات الزخارف الزاهية الملونة بلون واحد هو اللون الأسود في الدور الأول ثم بلونين أو بعدة ألوان كالأحمر والبرتقالي والأصفر والبني والأسود في الدور الثاني. (م. ن.). (الصورة الثانية عشرة و الثالثة عشرة)

تل حسونة

تل أثري يقع على نحو ١٥ كيلو متر من الضفة اليمنى لنهر دجلة وعلى مسافة ٣٠ كيلو متر جنوب الموصل. (الصورة العاشرة الخارطة)

وقد أجرت مديرية الاثار العامة في عامي ١٩٤٢، ١٩٤٣ في التل تحريات أثرية فوجدت طور حضاري من أطوار ما قبل التاريخ لم يكن معروفًا سابقًا فأسمته بطور حسونة وهناك من المؤرخين من يعيده إلى العصر الحجري الحديث. (المرشد لمواطن الآثار١٢)

وتطورت فيه صناعة الفخار الملون بشكل محسوس. (الصورة الرابعة عشرة)

تل النصر

أو تل جمدة نصر يقع على مسافة حوالي ٥٥ كيلو مترًا من شمال شرق مدينة الحلة الحالية، ويبدأ تاريخه بحوالي ٥٠٠٠ سنة مضت أو ٣٠٠٠ قبل الميلاد. وظهر ما يسمى بعصر فجر التاريخ ويشمل آثار الطبقتين الخامسة والرابعة في الوركاء.

ويتميز هذا العصر بعدة خصائص أهمها ظهور المعابد التي شيدت على

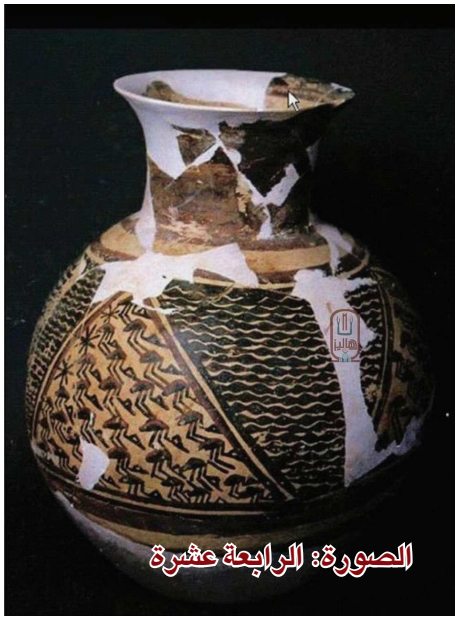

الصورة: الرابعة عشرة

مصاطب اصطناعية. وظهور المعابد العالية أو الزقورات التي اختصت بها حضارة العراق القديم مثل زقورة العقير وزقورة الوركاء. (العراق في التاريخ٦١)

وتشير المباني المركزية والألواح المسمارية الادارية والأختام الاسطوانية المستخرجة من الموقع إلى أن المستوطنات في هذه الفترة كانت منظمة للغاية. واستعمل دولاب الخزف السريع في صنع أواني فخارية لها طلاء اجاصي اللون واواني فخارية ملونة بعدة ألوان، ومنها الجرة الفخارية الموجودة في متحف أربيل الحضاري. (الصورة الخامسة عشرة)

الصورة: الخامسة عشرة

تل البقرات

موقع أثري قديم في محافظة واسط في قضاء الأحرار وعلى بعد ٣٠ كيلو متر جنوب مدينة الكوت، وهو عبارة عن ثلاثة تلول هلالية الشكل تشغل مساحة واسعة من الأرض ويصل ارتفاعها إلى سبعة أمتار فوق سطح الأرض ويعود تاريخ تل البقرات إلى فترة العبيد والوركاء وجمدة نصر.

(الصورة السادسة عشرة)

الصورة: السادسة عشرة

الصورة: السابعة عشرة

الصورة: الثامنة عشرة

الصورة: التاسعة عشرة

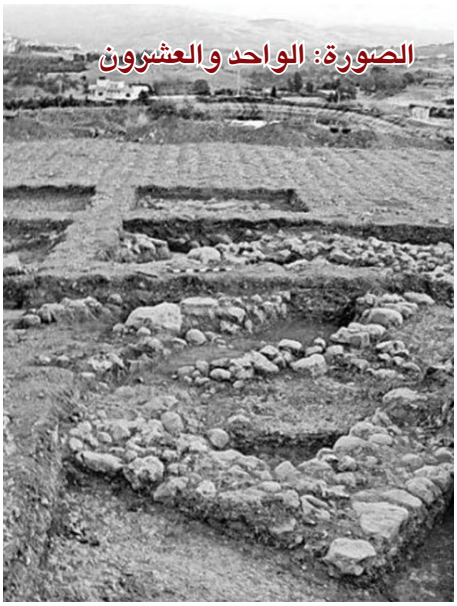
الصورة: الواحد والعشرون

الصورة: العشرون

ونقبت فيه بعثات تنقيب إيطالية (الصورة السابعة عشرة) على أكثر من موسم فضلاً عن بعثات عراقية وتم استخراج عدد كبير من القطع الأثرية منه سلمت إلى المتحف العراقي. (الهيئة العامة للآثار والتراث) (الصورة الثامنة عشرة والتاسعة عشرة والعشرون)

تل الصوان

يقع على بعد أحد عشر كيلو متر جنوب سامراء وعلى الضفة الشرقية لنهر دجلة قرب النصب المعروف بالقائم. (الصورة الواحدة والعشرون)

يذكر الدكتور بهنام أبو الصوف انه ضمن ما عرف بطور سامراء لما قبل التاريخ ووقوعه في وسط العراق جعل التفكير يتجه إلى احتمال الكشف في طياته عن دلائل أثرية تلقي الضوء على نوع من الارتباط الحضاري بين شمال وجنوب بلاد الرافدين في النصف الثاني من الألف السادسة قبل الميلاد.

هل الفكر حاجة إنسانية!

محمد حسن المولى

المؤثرات لا يمكن أن تؤثر في سلوك الانسان ما لم ترتبط ارتباطاً وثيقاً بحاجته الانسانية، وبحسب ما ذكر في مصنفات علم النفس ان كل كائن حي لا يمكن أن يقوم بفعل ما إلا بدافع حاجة يشعر بها، فيتخذ سلوكاً معيناً لإشباع تلك الحاجة، علماً ان الحاجات لدى البشر على نوعين رئيسين هما الحاجات الأولية (الفطرية) والحاجات الثانوية (المكتسبة).

الحاجات البيولوجية (الأولية) كما قيل عنها والتي من الأولى تسميتها بذلك، فهي بطبيعة الحال حاجات فطرية (غريزية) تنشأ مع الانسان منذ ولادته لكي تحفظ وجوده من الفناء، فيبقى الانسان متحركًا بمحاولة إشباع تلك الحاجات، التي تبقيه على قيد الحياة، وسلوكه أيضًا تحدده درجة الاشباع من تلك الحاجات، التي هي واضحة بطبيعة الحال (الحاجة إلى التنفس والطعام والشراب والجماع وأمثال ذلك).

وأما الحاجات المعنوية أو الروحية (المكتسبة) فهي تأتي متلازمة مع الاولى وتصنف على أنها حاجات نفسية وروحية وفكرية، تصوغها البيئة الثقافية والاجتماعية المحيطة التي ينشأ فيها الفرد، وأمثالها الحاجة إلى التملك، وتقدير الذات و تحقيق الذات، والحاجة إلى المعرفة، والعاطفة والعبادة للفكر. كما ورد في المصدر تسميتها بالحاجات الأولية والثانوية، بلحاظ أن العملية بين الاثنين عملية تكاملية، لا يمكن فك أحداهما عن الأخرى، فتصنيف العبادة والفكر ضمن الحاجات المعنوية لا يتنافى ابدًا مع المبدأ الديني، فالاعتقاد بالله هو عقيدة اساسية، ومن أول مبادئ الفطرة السليمة، والحاجة للفكر كذلك، بيد أن تصنيف علم النفس الذي يقسم الحاجات الفطرية على اساس المظهر الغريزي الاجباري، وتصنيف الفكر والعبادة في الدرجة الثانية لا يسبب أي أشكال، لأن الحاجات الثانوية هي فطرية بالقوة.

في الواقع أن تأثير الحاجات المعنوية لا يقل أهمية عن تأثير

الحاجات البيولوجية لما أشير إلى التناسق بينها وتكامل الانسان بها، فالإنسان الذي يفقد عناصر حاجاته المعنوية يشعر بالنقص تجاه نفسه ليوصلها في بعض مراحلها إلى اخراجها عن إطار انسانيتها، فقد ينظر الانسان بذاته على نظيره المقتصر على اشباع حاجاته المادية من شراب وطعام وجماع بوصفه حيواني السلوك؛ فهو يشعر بأن تحقق الذات الانسانية بتكامل الحاجتين لضرورتهما معًا، أي من خلال المعرفة والعبادة، و عن طريق الفكر أيضًا الذي لا يمكن ان يتحقق ما ذكر إلا بهما.

ولا يمكن اعتبار أحد تلك العناصر هو مجرد عنصر يمكن الاستغناء عنه والاكتفاء بغيره، فكلا العنصرين يحفظان الانسان من الفناء ويعززان وجوده الذاتي كما ذكرنا آنفاً، الفيلسوف الألماني فريدريك نيتشه (١٨٤٤-١٩٠٠) في نصه الشهير الذي يبدأه بقوله «ان كل الافعال السيئة تأتي بدافع الحفاظ على الذات... يصل إلى مثال يذكره... أننا قد نقاتل الحيوان الذي يروم مشاركتنا الطعام، ونحارب الانسان الذي يخالفنا الرأي» فالأفعال السيئة التي تبدأ من فقدان احد حاجات الانسان الغريزية، بدافع الغريزة نفسها، فنتيجته ايصال الفرد نفسه والمجتمع إلى خطر محتوم، وهذا هو ما آلت إليه الكثير من المجتمعات عند فقدانهم لعملية التفكير المعتدل والسليم الذي هو حاجة من الحاجات الانسانية.

ويعّد الفكر من ابرز الحاجات البشرية الرئيسة باعتباره ضرورة من الضروريات الانسانية التي يحكم بموجبها العقل الحكيم، فالإنسان الذي يعّطل بداخله عنصر التفكير، فلن يكون منتجًا ولا قادرًا للوصول إلى التكامل الانساني في حاجاته البشرية، وأمثلة ذلك كثيرة.

إن محاولة التأثير السلبي التي استخدمها الآخر في التشويش على المنظومة الفكرية لبعض المجتمعات، لم تأتِ لإسقاط الفكر والمعرفة من كونهما حاجتين انسانيتين، إنما جاء لخلط الحاجات الاساسية بالثانوية، فيصنع بذلك تأثيرًا سلبياً كبيراً على صياغة السلوك العام.

الفكر يؤثر في السلوك!

إن عملية التأثير في السلوك تأتي تبعاً لدرجة تحققها في الحاجات الاساسية، فالانسان الطبيعي لا يمكن أن يفكر ما لم يحقق حاجته الانسانية، والذي يحقق حاجاته الانسانية ولا يفكر لا يمكن أن يطلق عليه مفهوم الانسان.

إن أغلب محاولات التجويع التي عمد اليها البعض بحق المجتمعات والافراد كانت بسبب ذلك الدافع، فهم يجعلونهم يفكرون دائماً في طرق اشباع حاجاتهم البيولوجية، بخلق الازمات الاقتصادية أو الطبيعية، فيكون كل تفكير الانسان، في كيفية ايجاد الطعام الذي يحتاجه البدن، أو كيفية إيجاد المياه العذبة التي تصلح للشرب، أو البحث عن علاجات لبعض الاوبئة والمشاكل البيئية التي تؤثر في نمط حياتهم، فيكون الانسان في تلك البيئات لا يفكر إلا في طريقة عيشه، ولا يفكر إلا بالبحث عن حل تلك الازمات. فجرب مثلاً أن تأتي بمجموعة أفراد لم يأكلوا أو يشربوا منذ أيام، ثم ابدأ في تعليمهم ومطالبتهم بالتفكير وتقديم نتائج ابداعية من شأنها أن تغير تثري المشهد الفكري والمعرفي، فهل سيستجيبون لصوتك وكلماتك أم لقراقر بطونهم؟

وفي الطرف الآخر نرى أن بعض المجتمعات كان الأمر منها بالعكس تماماً من نظيرتها، فهي مترفة جدًا حيث بلغت من الشبع والترف ما يجعلها عاجزة عن التفكير، كسولة عن طلب المعرفة، معتمدة على من يفكر بالنيابة عنها، لكي يكون مجتمعاً مستهلكاً من الطراز الأول، فهو لا ينتج أي شيء من بنات أفكاره، إنما يعتمد في الجوانب الفكرية على الآخر، فتجده يستأجر كافة الاختصاصات الفكرية، من المعلم والكاتب إلى الخبير والمستشار. فلو جئت بعيّنة أخرى من المترفين والمشبعين، وبدأت تعلمه وتطرح عليه النظريات والآراء العلمية وتناقش معه الردود عليها، وبعدئذ تطلب منه أن يكون مثابراً وقارئاً وكاتباً، يحدد

ساعات قليلة لنومه، ودقائق لطعامه، وأن ليس لديه وقت للخروج إلى المطاعم، أو البحث عن (البراندات، والماركات) والامور التجارية، فهل سيستجيب لك أم لصوت محرك السيارة الفاخرة، ولرشات العطر المميز.

وفي واقع الأمر أننا نستخلص مما تقدم لو قرأنا واقع المجتمعات التي هي تعيش في ازمات تشغلها من التفكير، وواقع المجتمعات الأخرى التي تعيش في بيئة مليئة بالترف للحد التي يجعلها تستغني عن التفكير، لنقدح في نفس كل قارئ يمر بهذه السطور، أين الوسط في الأمر، ولماذا تمنع هذه المجتمعات والافراد من التفكير؟

في الواقع أن من يمنع هذه المجتمعات من ممارسة حقها وحاجتها الانسانية من التفكير، هي جهة واحدة ومنظومة مشخصة غايتها، فهي تخشى تفكير تلك المجتمعات ونتاجاتها الفكرية التي تسحب من تحتهم البساط وتؤدي بنظامها العالمي إلى عدمه السابق، كما وان الدافع الآخر لمحاولة ايقاف النتاج الفكري هو انعكاسه على سلوك تلك المجتمعات، وجعله سلوكاً سوياً مطابقاً لتعاليم الدين والمواريث، وبالتالي يبعث حذراً شديداً يوقف الثقافات المستهلكة التي يصدرونها والشبهات والموضات التي يرسلونها، وهذا ما سيشكل عقبة اقتصادية كبيرة تعود على مصدرها بمبالغ لا تعد.

في واقع الأمر لا يمكن أن يتكامل الانسان إلا بالفكر وبالمعرفة، ولا يمكن أن يتحقق الفكر والمعرفة إلا من خلال إشباع الحاجات الاساسية التي كما قلنا عنها آنفاً تحفظ الفرد من الفناء، ولكن من أراد أن يكون نبراساً للانسانية وصوتاً مميزاً لأسماع العطاء فلا ينبغي عليه أن ينغمس بالملذات للحد الذي يجعل بينه وبين التفكير حداً أسماه أمير المؤمنين(ع) بالبطنة قائلاً: «من زاد شبعه كظته البطنة، ومن كظته البطنة حجبته عن الفطنة»، وليربط التكامل الانساني في تعزيز التفكير كحاجة إنسانية لابد من تحققها قال عليه السلام: «أصل السلامة من الزلل الفكر قبل الفعل، والروية قبل الكلام»(١).

١. ميزان الحكمة – محمد الريشهري – ج٣ – الصفحة ٢٤٦٢

علاقتي مع نفسي

بقلم : محمد المشعشعي

ان من أكثر ما يحتاج الشاب إلى تنظيمه هو علاقته مع نفسه لأهميتها الكبيرة في التأثير على سلوكه وصياغة أفكاره وتحديد مكانته، فالفرد منذ يومه الأول يفتح عينيه ليرى نفسه بين اسرته في خواص وراثية لم يكن هو سبباً في حصولها وعوامل أخرى لم يخترها هو، ومن ثم ينتقل إلى محطاته المتتالية، من أبرز سمات تلك المحطات الهدوء والتشجيع والإسناد والتعاون، ورأفة وإشفاق الجميع، فيكون في كافة مراحله وانجازاته موضعاً للتشجيع والافتخار والدعم، وفي حال إخفاقه وفشله فإنه ستناله مواساة الجميع وتحفيزهم لمواصلة العمل والاستمرار والنجاح.

يستمر حال البيئة تلك إلى سنين عدة بيد انها لا تدوم لأكثر من عشرين عاماً فما ان ينهي الشاب دراسته الجامعية فإنه سيجد نفسه وحيداً في الساحة وأمامه مراحل عديدة من الإنجاز ينبغي أن يمر بها وأمامه العديد من الفرص التي يجب أن يستثمرها، ومن أهم المساحات التي يجب عليه ملؤها هي صياغة اسلوب للتعامل مع نفسه، كيف سيستحدث نمطًا يمثله ويكون فيه مختاراً لا مجبراً كما في أول أمره، هل سيبقى متقوقعًا في دائرة الطفولة

ويترك كل شيء لينظمه عنه غيره؟ أم أنه سيجد خطوات فعلية ليؤدي ما عليه من واجبات ويترك أثراً في حياته الاجتماعية، وعلى أساس ذلك سيجد القارئ العزيز اسلوباً مبسطاً فيس السطور التي تضمنت قواعد مهمة مستسقاة من أحاديث الأئمة الاطهار(ع).

ما يجب أن أنظمه في علاقتي مع نفسي هو أن أعرف موضعها مني وموضعي منها، بمعنى أن لا أقصر في ما أوجبه الله عز وجل لها من رعاية وصيانة تحفظها من الفناء والتهلكة ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ البقرة ١٩٥، فالله عز وجل لا يرضى أن نقصّر بحق هذه النفس من قبيل الامساك عنها وحرمها مما تحتاج اليه من طعام أو شراب، أو توهينها بلبس ما يضعفها ويهينها، ففي تفسير الآية المباركة المتقدمة ذكر العلامة الطباطبائي في تفسير الميزان قائلًا: «أريد به النهي عن كل ما يوجب الهلاك من إفراط وتفريط كما أن البخل والامساك عن إنفاق المال عند القتال يوجب بطلان القوة وذهاب القدرة، وفيه هلاك العدة بظهور العدو عليهم، وكما أن التبذير بانفاق جميع المال يوجب الفقر والمسكنة المؤديين إلى انحطاط الحياة وبطلان المروة».

وأن يحفظ حرمتها حتى وإن كان في أشد الظروف ضررًا، فالامام الحسين(ع) جسد ذلك بأسمى أنواع الصور الرائعة، في يوم العاشر من المحرم والحسين(ع) مقبل على منيته، بيد انه لم يترك حق نفسه عليه وجاء مقبلاً ليحفظ حرمتها، وطلب ثوباً لا يرغب فيه أحد يضعه تحت ثيابه؛ لئلاّ يجرّد منه فإنّه مقتول مسلوب، فأتوه بتبّان لَم يرغب فيه؛ (لأنّه من لباس الذلّة) وهذا في الواقع محط تأمل كبير، ومبعث تساؤل مهم، لا بد من إثارته، وهو ما هو حق نفسي عليّ؟

والامام زين العابدين(ع) يجيب على هذا التساؤل بجواب يثلج القلب وينير العقل في رسالة الحقوق قائلًا: «وأما حق نفسك عليك، فأن تستوفيها في طاعة الله فتؤدي إلى لسانك حقه، وإلى سمعك حقه وإلى بصرك حقه، وإلى يدك حقها، وإلى رجلك حقها وإلى بطنك حقه، وإلى فرجك حقه، وتستعين بالله

على ذلك»، وأما موضوعها وثمنها فأمير المؤمنين(ع) يبين بقوله: «إن من باع نفسه بغير الجنة فقد عظمت عليه المحنة» فثمن هذه النفس لا يمكن أن يكون أمراً مادياً إلا رضوانًا من الله عز وجل، ومن خلال ما تقدم من شواهد مشرفة واردة عن أئمة أهل البيت(ع) يتبين السبيل في التعامل مع النفس في أن لا يجعلها الانسان مورداً للسخرية، أو تكون موضعاً للانتقاد ونيل الألسنة، كما وأن لا يجعلها لعبة منتقلة بين الشهوات.

الصراع الذي يحدث داخل الانسان في كل يوم، هو صراع على الحكم، فكل يوم تتقاتل انماط النفس المختلفة في داخلنا لتنتصر نفس على الانفس الاخرى، ففي كل واحد منا ثلاث

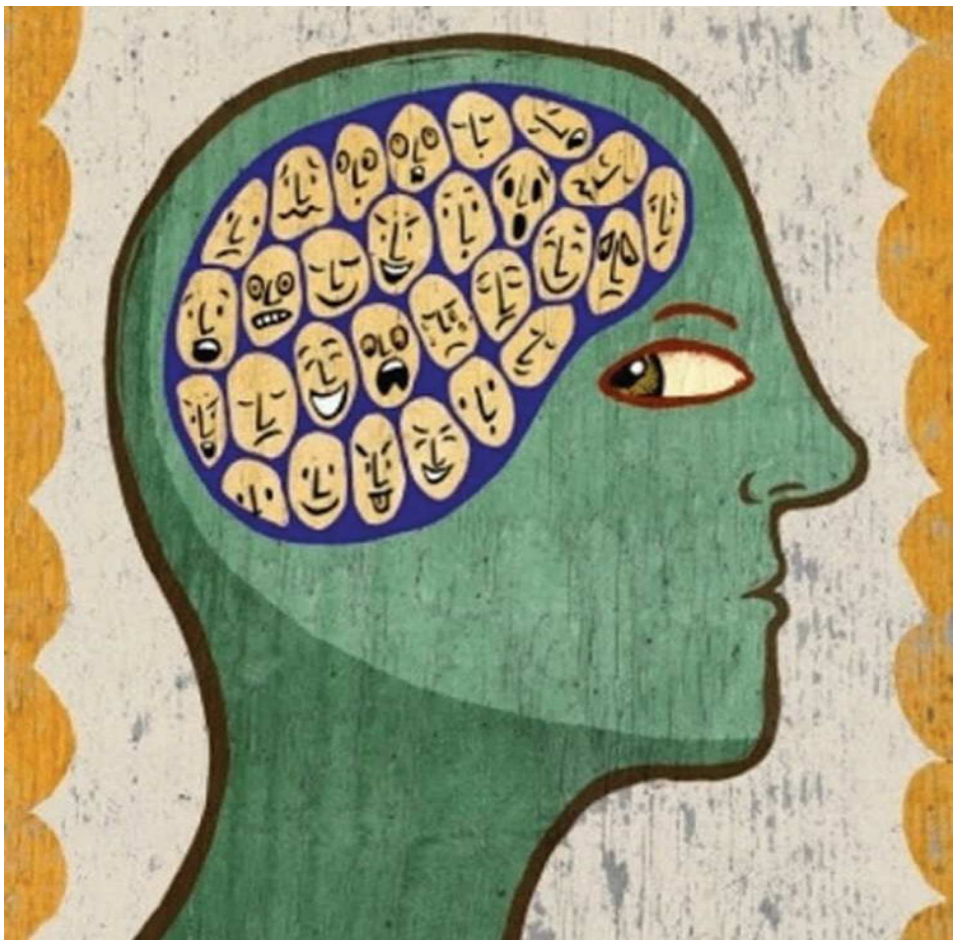

أنفس تسعى كل واحدة منها لتفرض سيطرتها على الاخريات، وأنواع النفس كما ذكرت في القران الكريم على النحو الآتي:

النفس الأمّارة التي تأمر بالسوء وتقود إلى الرذيلة في كل أحوالها، كما وردت في قوله تعالى: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيَ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

النفس اللوامة هي التي تكون متوسطة بين الخير والشر فإن غلب الخير اطمأنت وإن غلب الشر لامت نفسها وندمت على ما فعلت ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾.

النفس المطمئنة النفس الآمنة التي لا يستفزها خوف ولا حزن والواصلة إلى مرحلة الاطمئنان والراحة والطاعة التامة لأوامر الله والمشمولة بعناياته الربانية، والتي قال عنها القرآن الكريم: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾.

وذكر هذا الصراع عند علماء النفس بأسماء مختلفة ومضامين متقاربة فنموذج فرويد الذي قسم فيه الانفس إلى الهو Id، الأنا ego والأنا العليا super-ego، في نموذجه البنيوي للنفس؛ وهي ثلاث بنيات من حيث نشاط وتفاعل الحياة العقلية كما وصفها. حسب هذا النموذج النفسي، الهو، هي مجموعة من

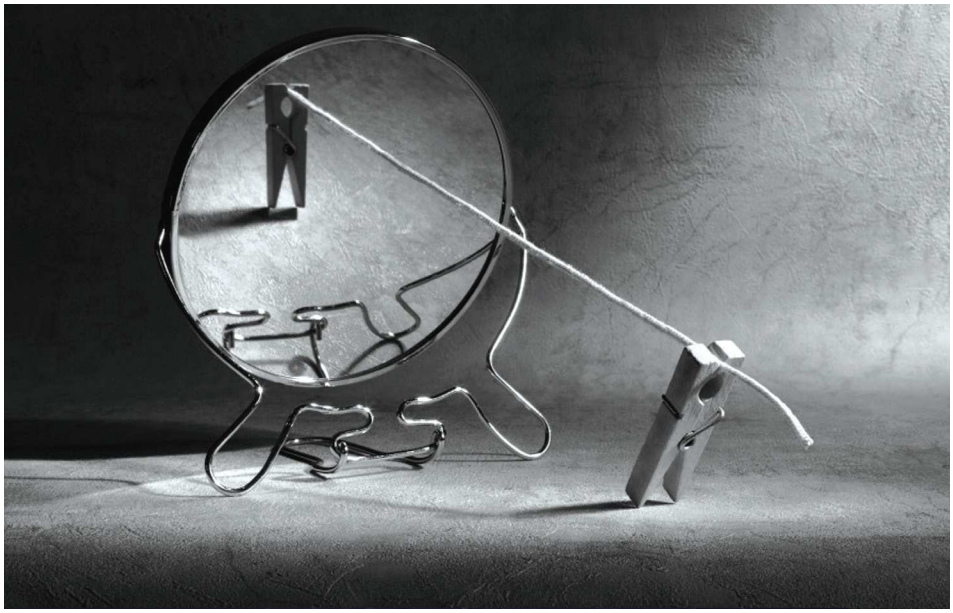

الاتجاهات الغريزية غير المنسقة؛ والأنا العليا، تلعب دورًا نقديًا ووعظيًا؛ في حين الأنا هي الجزء الواقعي المنظم الذي يتوسط بين رغبات الهو والأنا العليا. الأنا العليا قد توقفك عن فعل أشياء محددة قد تريد الهو أن تفعلها.

بعد هذا البيان المفصل الذي تمخض عنه فهم مختصر للنفس، فلابد من أن نعرف كيف نتعامل معها وبأية طريقة ستكون علاقتنا معها، وفي الواقعِ الامامِ زين العبادين(ع) رسم طريقاً واضحاً ففي الحق الذي تقدم، لا يمكنٍ لأحد أن يعدوه، ولكن نبينه تفصيلاً من خلال رسمه على شكل مشجر، يسهل فهمه وتطبيقه.

فما إن اعطت النفس حق ربها من التقوى والعبادة والكف عن المحارم واجتناب الكبائر، وادت حق الجوارح (فتؤدي إلى لسانك حقه، وإلى سمعك حقه وإلى بصرك حقه، وإلى يدك حقها، وإلى رجلك حقها)، واجتنبت حرام ما حرم الله عز وجل وعملت بحلال ما أحل من شهوات وغرائز (وإلى بطنك حقه، وإلى فرجك حقه) وادت حق الاستعانة بالله عز وجل في السراء والضراء، فإنها بذلك استوفت ما عليها وكانت علاقتك معها من أفضل ما يكون لعلاقة انسانٍ مع نفسه.

دمج ونصفه وشبهه

بقلم: علي سعدون

التخصّص في كلّ مجال من مجالات الحياة -سواء كانت علمية، كالرياضات والفيزياء، أم عملية كالبناء، أم علمية عملية كالمعلِّم والمدرِّس- أمرٌ مطلوب، بل بعض الأصناف يكون وجود المتخصِّص فيها واجبًا عقلاً وشرعًا، كالطب والفقه.

لكن تعاني التخصُّصات بشكل عام من ظاهرة وجود أشخاص محسوبين عليها مع أنّهم غير مؤهلين، بل وليسوا منها حقيقة وبحسب واقعهم.

وعدم الأهليّة في ذلك تأخذ أشكالًا ثلاثة:

أحدها: من هو خارج الصنف أصلًا، ونسميه في أيّامنا هذه بـ(الدمج)، وهي كلمة عربية فصيحة من (دمج) بمعنى أدخل شيئًا مع شيء مغاير له[1]، وهي بهذه الخصوصية تدلّ تمامًا على المعنى المقصود منها هنا، حيث يُدخل شخصٌ في مجال معيّن مع أنّه ليس من أهله أصلًا.

ثانيها: من حصّل شطرًا من المعارف التخصِّصية في مجال معيِّن، لكنّه لم يكمله، ومع ذلك يُحسب على التخصُّص، ويرتدي زيّه، ويتحدَّث بصفته واحدًا من أصحابه. ولنسمي هذا الصنف بـ(نصف دمج).

ثالثها: من أكمل التحصيل المعرفي في تخصُّص ما، لكن أكمله إكمالًا شكليًا، وأصبح يحمل شهادةً رسميةً فيه، لكنّه لا يحفظ -بل لا يفهم- من

١- يُلاحظ: العين: ج٦، ص٩٠؛ وأساس البلاغة: ج١، ص٢٩٧.

تخصّصه شيئًا، ويضيع في أوّل محاورة علمية، ومع ذلك هو كسابقه يرتدي زيّ التخصُّص، ويتحدّث بصفته واحدًا من أهله. ولنسمي هذا الصنف بـ(شبه الدمج).

والمشكلة أنّ هذه الأصناف الثلاثة تجدها هي البارزة على السطح –وهذا هو شأن الشياء الخفيفة؛ فإنّها تطفو على سطح الماء– فهي حاضرة في الإعلام، وفي وسائل التواصل الاجتماعي، وتجدها حاضرة –أيضًا– في المحافل العلمية، ولو بصفة ضيف، أو عريف حفل، أو مستقبل للحضور ومنظّم لجلوسهم! ولعلّ الذي يدفعهم لذلك شعورهم بالنقص وانتحال الشخصية.

ومن صفاتهم أنّهم ينتقدون كثيرًا أهل التخصُّص الحقيقيّ؛ من أجل أن يُظهروا للآخرين مدى أهليتهم الصورية، وحرصهم على تحمُّل المسؤوليّة، وأنّهم لائقون بها!

بينما تجد أهل التخصُّص الحقيقي يبتعدون تمامًا عن مثل ذلك؛ لما يعرفونه من قيمة التخصُّص، وعظم الشخصيات التي مرّت في تأريخه، ومدى أهميّة الإسهامات والإنجازات العلمية التي قدَّموها.

بل تجدهم يتحرَّجون من الألقاب العلمية التي يوصفون بها مع كونهم أهلًا لها.

ورُبّما كان –أيضًا– ابتعادهم النبيل هذا سمح بالمجال للأصناف الثلاثة بالظهور على السطح، وقد قال الشاعر:

ملآ السنابل تنحني بتواضعٍ
والفارغات رؤوسهنّ شوامخ

ويبدو أنّ من يتحمّل المسؤولية الأولى في عدم فسح المجال أمام الأصناف الثلاثة هو المجتمع من خلال وعيه بوجودهم، وفرزهم، وعدم الاهتمام بهم، وقد روي عن النبي عيسى(ع) قوله: «كونوا نُقّاد الكلام، فكم من ضلالة زُخرِفت بآية من كتاب الله كما زُخرِف الدرهم من نحاس بالفضة الموّهة، النظر إلى ذلك سواء، والبصراء به خبراء»[٢].

كما نأمل من أصحاب التخصُّص الفعليين أن يتخلّو قليلًا عن تواضعهم وترابيتهم ويظهروا للمجتمع قيمتهم وما يحملونه من معرفة حقيقية مبتنية على أصولها الموزونة، والتي ما أن يسمعها

٢– المحاسن: ج١، ص٢٩٩–٣٠٠، ح١٦.

عاقل إلّا وأدرك جليًا زيف تلك الأصناف الثلاثة ومدى مجانبتها للواقع.

بل بمثل هذه الخطوة منهم يصبح عند المجتمع وعي بمن يكون من أهل التخصص من خلال جعلهم مثلًا في الوعي الاجتماعي فيقاس المتطفّل بهم ويُفضح أمره.

وفي شأننا الديني يبرز أصحاب الأصناف الثلاثة في مجالين مهمّين:

الأوّل: في دعوى المرجعيّة والتصدّي لشؤونها، وهي دعوى خطيرة جدًّا؛ لخطورة وحساسيّة الموقع، وأثره في حركة الأُمّة والمنظومة التشريعيّة، وقد روي عن الإمام الصادق(ع) قوله لمؤمن الطاق: «يا ابن النعمان، إنّا أهل بيت لا يزال الشيطان يُدخل فينا من ليس منّا، ولا من أهل ديننا، فإذا رفعه ونظر إليه الناس أمره الشيطان فيُكذّب علينا، وكلّما ذهب واحد جاء آخر»[٣].

الثاني: في الخطابة الحسينيّة، فتجد أشخاصًا لا حظّ لهم من العلم الدينيّ الحوزويّ المبتني على الدراسة المنهجيّة الواعية، ومعرفة أصول العقيدة، وأدوات التفكير والنقد الدينيّ يتصدّون للخطابة الحسينيّة معتمدين على ما يُحسنونه من صوت شجي، ومفردة منمّقة، وشهرة، لكنّهم لا يستطيعون تقديم المعارف الحقّة لمجتمعهم؛ لما عرفت من فقدهم للدراسة المنهجيّة والمعرفة العلميّة في هذا الشأن.

٣- تحف العقول عن آل الرسول: ص٣٠٩-٣١٠.

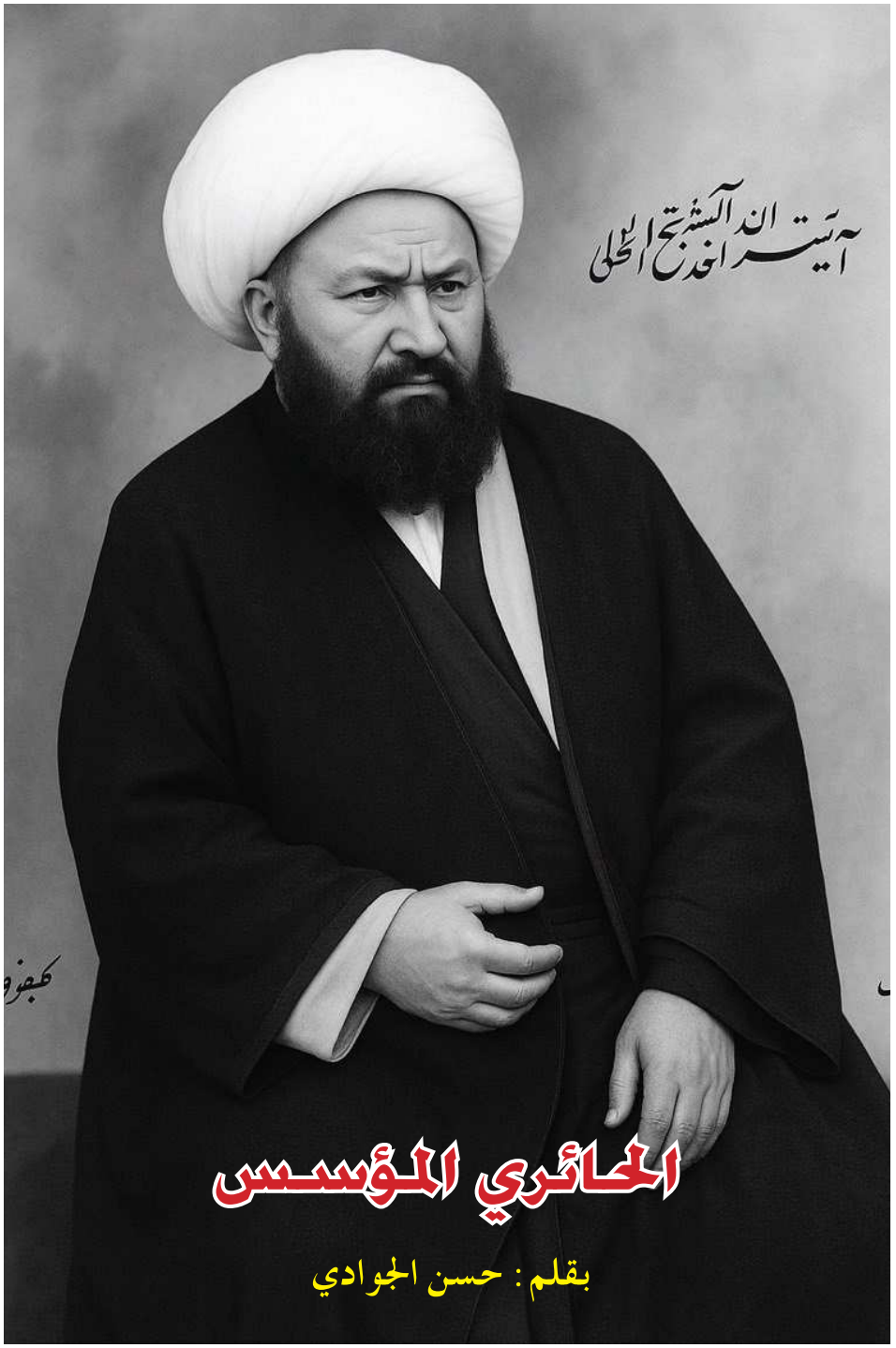

الحائري المؤسس

بقلم : حسن الجوادي

لفت نظري هذه الأيام خبر مؤتمر الذكرى المئوية لتأسيس حوزة قم المقدسة، ومن الصحيح لمن يقرأ هذا الخبر ان يذهب ليتعرّف على المؤسس وباني مجد حوزة قم وواضع أركانها في عصرنا الفقيه المحقق الشيخ عبد الكريم الحائري(طاب ثراه)، شخصية علمية استثنائية قل نظيرها من حيث المنجز والجد والاجتهاد، وقد توزّع جهده الشريف على بعدين، أولهما تربية نخبة من العلماء والفضلاء، وثانيهما تأسيس الحوزة العلمية والجامعة المعرفية في مدينة قم المقدسة، حتى التصق لقب المؤسس باسمه الشريف، فلا يذكر الشيخ(طاب ثراه) والا والحق بعبارة (مؤسس الحوزة العلمية)

ولد في قرية «مهرجرد» من القرى التابعة لـ«ميبد» من توابع «أردكان» الراجعة إلى «يزد» في سنة ١٢٧٦، وتوجه إلى دراسة العلوم الدينية بتشجيع من أبيه الحاج محمد جعفر الذي كان من وجهاء القرية الصلحاء. بدأ بقراءة المقدمات العلمية في مدينة «أردكان» عند العلامة مجد العلماء الأردكاني وغيره. وبعد إتقان المبادئ ذهب إلى يزد حيث سكن في مدرسة خان، وقرأ على أساتذتها العلوم الأدبية وسطوح الفقه والأصول[١].

الرحلة العلمية

فتح عينه العلمية والمعرفية في مدينة يزد وتلقى علومه الأولى فيها، ولكن قلبه يهوى النجف الأشرف فحضر أبحاث اعلامها كالمحقق الخراساني، فتروّى منها وتزود من فيض علومها، ويصف الشيخ الآراكي مغادرته النجف الأشرف: ان أستاذنا المحقق المؤلف(طاب ثراه) قد هاجر بعد وفاة سيده الأستاذ آية الله العظمى المجدد الحاج الميرزا حسن الشيرازي، وسيده الأستاذ آية الله المحقق السيد الفشاركي(قدس سرهما) حوالي سنة ١٣١٦ هـ.ق. إلى

١ ـ المفصل في تراجم الاعلام، السيد أحمد الحسيني الاشكوري، ج ٢، ص ١٧٩.

بلدة أراك في إيران، وأقام بها طيلة ثمان سنوات، وقد أسس بها حوزة علمية حضرها جم عفير من جهابذة العلم، وألف (رحمه الله) جميع المباحث الأصولية من المجلد الثاني.

ثم عند بدء النهضة الدستورية في إيران عاد خفية إلى العراق في سنة ١٣٢٤ هـ.ق، وحضر مجددًا مدة قليلة بحث المحقق الخراساني في النجف الأشرف، ثم هاجر إلى كربلاء المشرفة، وأقام بها حوالي ثمان سنوات، وأكمل بقية المباحث الأصولية طيلة إقامته هناك، وكان ناظرًا في تلك المباحث إلى ما أفاده المحقق الخراساني في الكفاية[٢].

اساتذته:

تتلمذ الشيخ عبد الكريم الحائري(طاب ثراه) على امهر أساتذة عصره، فقد تتلمذ في سامراء على يد المحقق الشهير بالمجدد الشيرازي ومن بعده الشيخ محمد تقي الشيرازي صاحب فتوى ثورة العشرين، ومن اساتذته المعظم السيد محمد الفشاركي، وفي النجف حضر على المحقق الاصولي الشهير الآخوند الخراساني.

٢ ـ درر الفوائد: مقدمة التحقيق، ص٥،

تلامذته

درّس الشيخ الحائري(طاب ثراه) نخبة من افاضل العلماء وطلبة العلم، وصار منهم الفقيه والمرجع الديني والأستاذ والمحقق، ونذكر هنا بعضهم:

١. الشيخ محمد علي الآراكي (ت ١٤١٥هـ).

٢. السيد محمد الكلبايكاني

٣. السيد شهاب الدين المرعشي.

٤. الشيخ جعفر الراشيتي.

ونبغ من أولاده الكرام:

٥. الشيخ مهدي الحائري، وكان من طلبة السيد البروجردي، وقد قرر له دروسه الفقهية في حياته (الحجة في الفقه)

٦. الشيخ مرتضى الحائري وله مؤلفات وتحقيقات علمية طيبة.

في عيون الأعلام

١.تلميذه السيد الكلبايكاني: المبرور المغفور له شيخنا واستاذنا مؤسس الحوزة العلمية في مدينة قم المقدسة العلامة الفقيه والأصولي الشهير آية الله العظمى وحجته الكبرى الحاج الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي تغمده الله برحمته[٣].

٢. تلميذه السيد المرعشي: العلامة النقاد ومن ثنيت له الوسادة في

٣. إفاضة العوائد، السيد الكلپايكاني، ج ١، ص ٤.

عصره قدوة الفقهاء والمجتهدين حجة الاسلام والمسلمين آية الله العظمى بين الأنام مولانا الحاج الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي(قدس سره) وهو الذي له حق عظيم علي وأيادي جميلة، حشره الله مع أجدادي الطاهرين(٤).

٣. من كلمة حديثة للشيخ السبحاني: إشارة إلى حديث «العالم بزمانه لا تهجم عليه اللوابس»، قائلاً: هذه الرواية تشير إلى الصفة البارزة للعلماء والمجتهدين العارفين بأحوال زمانهم، وآية الله العظمى الحاج الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي كان مصداقاً كاملاً لهذا الحديث الشريف.

مؤلفاته

خط يراعه المبارك نفائس الدرر العلمية والتي كانت وما تزال من محاور دروس اعلام الطائفة، وجمعت في وقتها القريب في دورة كبيرة حملت عنوان (موسوعة المحقق الحائري اليزدي) بلغت عشرين مجلداً، وهي تحوي كتبه الشريفة ومنها: درر الفوائد وهو من اهم كتبه الأصولية، وكتاب الصلاة وغيرها من دروه الشريفة.

مؤسس الجامعة العلمية القمية

اتفق الأعلام بان النهضة العلمية التي تشهدها الحوزة العلمية في مدينة قم المقدسة هي من ثمار جهود الشيخ الحائري(طاب ثراه) ويصف تلك النهضة الشيخ السبحاني قائلاً: لم يبق تألّق نجم العلم في هذه البلدة على منوال واحد، بل كان له طلوع وغروب مرّة تلو أخرى، إلى أن ساق القضاء رجل العلم والفضيلة، مثال الزهد والتقوى، آية اللّه العظمى الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي(قدّس سرّه) إليها عام ١٣٤٠هـ، فقام بتأسيس الحوزة العلمية فيها، ونفض الغبار عن كاهل حوزتها، ونفث روحاً جديدة في عروقها، في حين كانت رياح الضلال تعصف في أرجاء العالم كلّه، ووقعت إيران العزيزة في مهب رياحه، لكن شاءت الأقدار الإلهية أن تكون تلك الحوزة العلمية سدّاً منيعاً أمام التيارات الإلحادية، ووتداً راسخاً يحول دون الهزة العلمانية، فأضحت مناراً فيّاضاً يشع نوراً وهداية في قلب الأمّة الإسلامية على وجه تمثل قول أئمّة أهل البيت(ع) في حقّ هذه البلدة الطيبة: «منها يفيض العلم».

هبط المؤسس آية اللّه الحائري مدينة

٤. شرح إحقاق الحق، السيد المرعشي، ج ١، ص ١٣٦

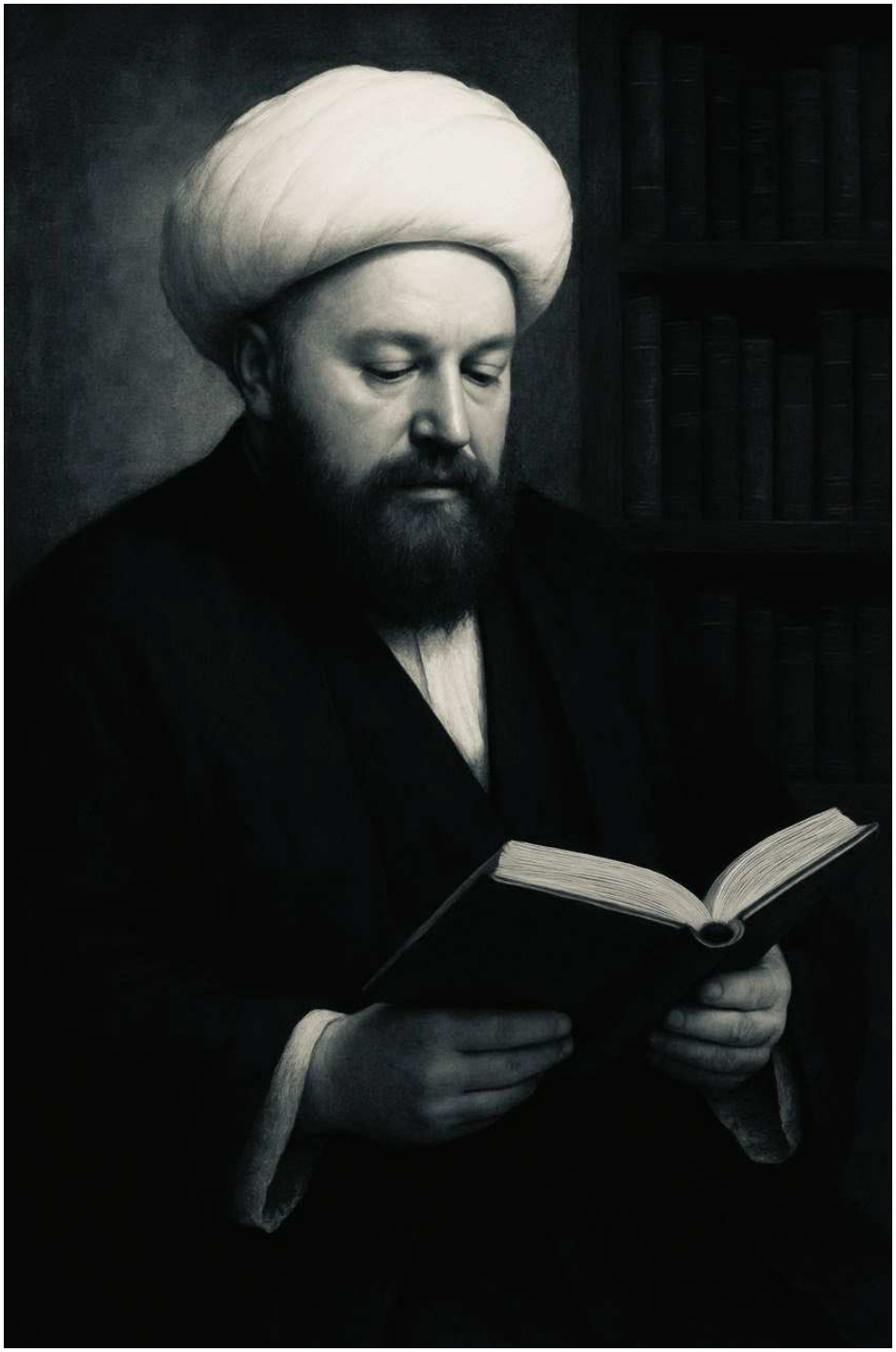

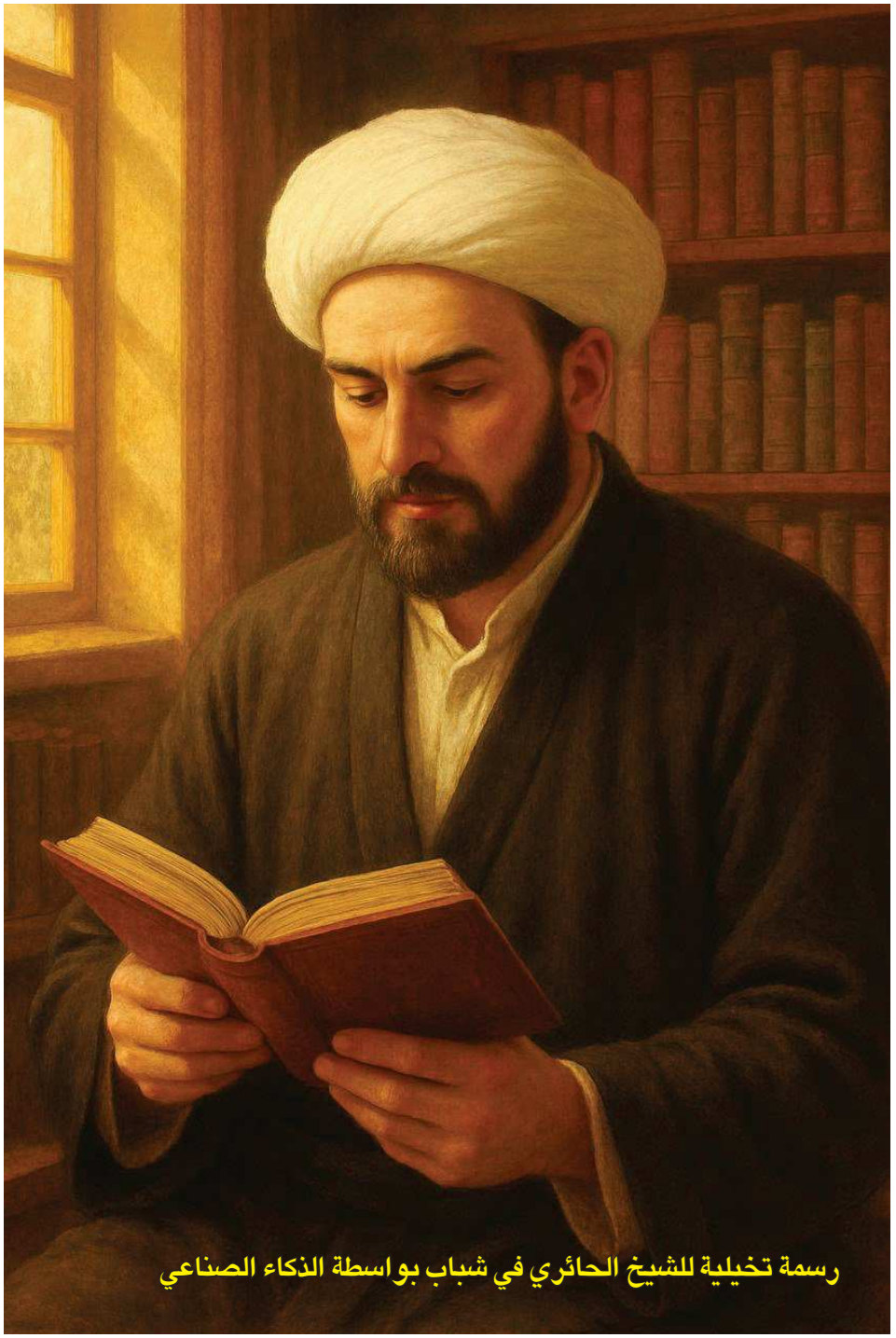

رسمة تخيلية للشيخ الحائري في شباب بواسطة الذكاء الصناعي

قم في ٢٢ من شهر رجب المرجب من شهور عام١٣٤٠هـ-، وتقاطر روّاد العلم إليها من كلّ فجّ عميق، فانتعش العلم ببركته، وخرّج طليعة من روّاد العلم والعلماء إلى أن لبّى نداء ربّه في أواخر سنة ١٣٥٥هـ-، وبذلك فقدت الحوزة العلمية زعيمها ومؤسسها، ولكن دام عطاء الحوزة العلمية على يد تلامذته، فقاموا برعاية الجامعة العلمية بعد رحيله على أحسن ما يرام، وأخذوا بزمام الأمور بعزم سديد، ويد من حديد في جو مشحون بأنواع من المحن والشدائد التي كادت أن تقلع جذور تلك الشجرة المباركة الطيبة، ولا غرو أن نذكر أسماءهم إجلالاً للجهود الثمينة التي بذلوها والعناية التي أولوها :

١. آية اللّه السيد محمد الحجة (١٣٠١ - ١٣٧٢ هـ-).

٢. آية اللّه السيد صدر الدين الصدر (١٢٩٩ - ١٣٧٣ هـ-).

٣. آية اللّه السيد محمد تقي الخوانساري (١٣٠٦ - ١٣٧١ هـ-).

وهؤلاء الأقطاب الثلاثة كانوا مراجع العلم وأساتذة الحوزة وزعماءها، صابرين على المحن والكوارث، غير مكترثين بما ينتابهم من صروف الدهر، وغير الزمان، مجابهين ضوضاء الباطل بحكمة عملية وعظة بالغة[٥].

صبره وظفره

مرّ الشيخ الحائري(طاب ثراه) بظروف قاهرة، في الوقت الذي كان يحمل هم تأسيس الجامعة العلمية، وقد عمل على استقطاب الطاقات المؤثرة والمهمة لا سيما نخبة من علماء الدين، وقد نال ما أراد بحمد الله تعالى، وكانت الظروف على أصناف عدة منها ما يتعلق بالشؤون الاقتصادية وحالة المجتمع المعاشية الى الظروف الخاصة بالشؤون العلمية والتبليغية، ثم جبروت السلاطين وظلمهم وتعديهم على طلبة العلم، لعبت السلطة البهلوية دوراً ولسنوات، وتخبرنا سيرته انه كان في غاية الضبط والإتقان، ومن جهة يتمتع بحس واقعي يستوعب مجريات الاحداث ويقرأ ملامحها ويتنبأ قبل حدوثها، وقد نقل المرجع الراحل سماحة السيد محمد سعيد الحكيم(طاب ثراه) حادثة تبين مستوى دقته وتتبعه.

ينقل سماحته قائلاً: حدثني العلامة السيد أحمد جمال الهاشمي

٥. أدوار الفقه الامامي: الشيخ جعفر السبحاني، ص٣٢٠-٣٢٢.

عن أبيه آية الله المرجع الديني السيد جمال(قدس سره)، وقد كان من أعيان تلامذة الميرزا النائيني(قدس سره) وممن سافر معه من حاشيته حينئذ، قال: لما سافر العلماء إلى إيران استقبلهم الشعب الإيراني وعلماؤه استقبالاً حاراً حاشداً، واحتفّوا بهم، وعظّموهم، ورفعوا شأنهم .

فلما رأى المرحوم الميرزا النائيني(قدس سره) اهتمام الشعب الإيراني بهم والتفافه حولهم قال للعلماء: إنا نستطيع بما رأيناه من اندفاع الشعب لنا أن نصلح الأوضاع في إيران .

فقال له المرحوم المرجع آية الله الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي(قدس سره): إنا نستقبل جبالاً من بلاء، وليس لنا إلا الهدوء والاستسلام والحفاظ على البقية الباقية حتى ينجلي هذا البلاء المقبل، وننظر ما يكون[٦] .

وعلق سماحته قائلاً: وكأنه (قدس سره) كان ينظر بنور الله تعالى، فقد صدقت نبوءته، حيث انتهى الأمر بحكم رضا بهلوي لإيران، فأحرق الأخضر واليابس، وحاول اقتلاع الدين من جذوره في محنة مأساوية وقعت على العلماء والمؤمنين.

لدى الكريم حلّ ضيفاً عبده

ملخص التعبير أعلاه ان السيّد صدر الدين الصدر العاملي أرّخ لوفاة الراحل الشيخ عبد الكريم الحائري مؤسس الحوزة العلمية ببيت شعر على حساب الجمل، وشطر البيت هو:

لدى الكريم حلّ ضيفا عبده...

وبعد أيّام رأى السيد الصدر(رحمه الله)

في المنام بستانا جميلا ملئ روعة وصفاء، وقد جلس الشيخ الحائري(رحمه الله) في قصر منيف وقدّم له شراب، قال الشيخ الحائري: إنّ هذا الشراب خاصّ بي، وسيقدّم لك شراب آخر، وحينئذ سأل السيد الصدر عن حاله، فأجابه: لدى الكريم حلّ ضيفا عبده[٧].

لبّى نداء الحق في شهر ذي القعدة ١٣٥٥هـ، وشيّع في مدينة قم المقدسة ودفن في حرم السيدة فاطمة المعصومة[٨].

٦. المرجعية الدينية وقضايا أخرى: السيد محمد سعيد الحكم، ص٧٠.٧٢.

٧. المهدي: السيد صدر الدين الصدر، ص١٧

الحلقة الثالثة

دولة بني عمار

تشيع بلاد المغرب

بقلم باسم الساعدي

نتكلم في هذه الحلقة عن بني عمار في الشام، واستقلالهم في طرابلس، وكيف حولوها إلى دولة غنية منيعة، تعد من الدول المتطورة المزدهرة المتكاملة –في ذلك الوقت– اقتصاديا وعسكريا وسياسيا، وصارت قبلة العلماء والشعراء.

في الشام

ذكرنا في المقالتين السابقتين أن بني عمار هم قادة الدولة الفاطمية، وهم من فتح لها البلدان، ومنها الشام، وأن شيوخ كتامة، ومنهم بنو عمار، صاروا قادة ولايات الشام بعد الفتنة بينهم وبين الأتراك، واستيلاء سليمان بن جعفر بن فلاح الكتامي على الشام سنة ٣٦٩، بل وحكم بعض بلاد الشام للفاطميين من كتامة ثلاثة عشر قائدا منذ سنة ٣٥٨ حتى سنة ٤٦٥، كان آخرهم أمير الجيوش أبو النجم بدر الجمالي، وهو مملوك لجمال الدين بن عمار، وقد ترقى بالمناصب حتى ولاه المستنصر الفاطمي دمشق سنة ٤٥٥ أو ٤٦٥ [1]، ونستطيع الجزم أن وجودهم في الشام هو الخطوة الممهدة للاستقلال التام.

١–تاريخ الشيعة السياسي الثقافي الديني٢: ٣٦٦–٣٦١.

في طرابلس

كانت طرابلس الشام شيعية[٢] تمييزا عن طرابلس الغرب، التي هي الآن من ضمن ليبيا؛ لذا عدها بنو عمار موطنا مناسبا لإعلان استقلالهم، وتأسيس دولتهم، وكان لهم ما يريدون على يد القاضي أبي طالب ابن عمار، وقد ذكر غير واحد من المؤرخين أنهم يجهلون تاريخ تواجدهم في طرابلس[٣]، والظاهر أنهم سعوا إلى استقلالهم في طرابلس أو أي مكان آخر في الشام منذ تغلب القائد سليمان بن جعفر الكتامي على الشام، فقد نصب شيوخ كتامة وقادتها ولاة فيها بعد عزله ولاة الجور من ولاياتها، وبنو عمار سادة كتامة وشيوخها فلا يعقل أن يتعداهم أو يستثنيهم من تلكم المناصب الرفيعة، وهم أو على الأقل بعضهم غير مؤمن بالإسماعيلية منذ زمن عبد الله الشيعي[٤]، وقد حاولوا عزل الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله، وقد قتل سيدهم وشيخهم أمين الدولة الحسن بن عمار، فمن الطبيعي بعد قتله وتغلب الاتراك في مصر على مركز القرار أن يسعوا لتحقيق حلمهم، أقصد الاستقلال، في بلاد بعيدة نسبيا عن مركز الحكم الفاطمي، على أن تكون البلاد المنشودة توافقهم بالعقيدة، ولهم فيها موطئ قدم، والشام بصورة عامة حكمها منهم ثلاثة عشر قائدا غير الموظفين وكبار السؤولين فيها، إلا أن الظروف لم تسمح لهم بالانفراد بالحكومة حتى سنة ٤٦٣، عندما ضعفت الدولة الفاطمية وتغلب فيها الولاة والوزراء.

طرابلس ولاية مستقلة

كانت طرابلس قبل العهد الفاطمي تابعة لدمشق، وفي أواخر سنة ٣٥٩ تحركت من مصر نحو الشام قوة عسكرية فاطمية بقيادة جعفر بن فلاح الكتامي، وفتح دمشق وتوابعها في سنة ٣٦٠، وكان عز الدولة تميم بن النعمان التنوخي قبل الفاطميين أميرا على إقليم الغرب الذي يضم طرابلس وبيروت وصيدا، وعند انتصار الفاطميين قدم له الولاء، فأقروه على ولايته، ثم ثار الدمشقيون على الحكومة الفاطمية واستعانوا بالحسن

٢-تقدم الكلام في الحلقة الأولى.
٣-تاريخ الشيعة السياسي الثقافي الديني٢: ٣٦٣.
٤- تقدم الكلام عنه في الحلقة الأولى.

بن أحمد القرمطي وقبائل العرب في الشام من بني عقيل وطي؛ وذلك (لأن أهل دمشق سنيون متطرفون في عداء الشيعة)، وقد انتصر المتحالفون وطردوا الفاطميين إلى مصر، وقتلوا جعفرًا في معركة الدكة قرب دمشق سنة ٣٦٠، وصارت الشام قرمطية تابعة للعباسيين، غير أن طرابلس بقيت فاطمية الولاء، رغم انتصار التحالف السني القرمطي، وفي شهر رمضان من سنة ٣٦٣ انتصر الفاطميون بقيادة أبي محمود بن إبراهيم بن جعفر بن فلاح الكتامي،وفتحوا دمشق مرة أخرى، وعزلوا طرابلس فجعلوها ولاية مستقلة تابعة لإقليم الغرب، الذي عليه عز الدولة، المقيم في بيروت، وعلى طرابلس جعلوا ريان الخادم واليا، وفي سنة ٣٦٤ انتصر الفتكين التركي بمساعدة أعداء الشيعة من الشاميين على الفاطميين بدمشق، وطرد منها ريان وغيره من أعيان الفاطميين، وانسحب إلى مصر عز الدولة وظالم بن موهوب العقيلي والي دمشق قبل ريان، ثم تحالف الفتكين مع القرامطة بعد أن أشار عليه سنة الشام بذلك.

وفي سنة ٣٦٧ استطاع الفاطميون بقيادة الخليفة العزيز بالله الانتصار على الاتراك والقرامطة ورعاياهم الشاميين، وارجع العزيز بالله عز الدولة لولاية إقليم الغرب وبيروت، أما طرابلس فجعل عليها القائد نزال الكتامي، وبقيت مستقلة تابعة للفاطميين حتى سنة ٤٦٢ بعد موت واليها الفاطمي الثامن، مختار الدولة بن نزال الكتامي فاستقل بها القاضي أبو طالب بن عمار الكتامي[٥].

استقلال بني عمار في طرابلس

كان الكتاميون، ومنهم القاضي أبو طالب بن عمار، يتمتعون بلياقة واقدام، تشهد لهم بذلك مواقفهم الكثيرة قبل انتمائهم للإسماعيلية، وبعدها فهم من شيد أركان الدولة الفاطمية كما عرفنا سابقا، وقد قدمنا أنهم فشلوا في الاستيلاء على السلطة في مصر، فصار من الطبيعي أن يفكروا بالاستقلال عنها، وقد استطاعوا بسط نفوذهم في الشام، فمنهم قادة الجيش، والولاة،

٥-الكامل في التاريخ٨: ٦٥٦، وطرابلس الشام في التاريخ الإسلامي: ٤٧ وما بعدها.

ووجهاء البلاد، وقضاته، توارثوا ما مر كابرا عن كابر، فقد عرفوا بالقضاء –وهو السلطة العليا– قبل استقلالهم بطرابلس بسنين[٦]، وكان أبو طالب أبرز من عرف بالقضاء منهم في طرابلس، فهو مؤسس دولتهم فيها، فقد شغل القضاء للفاطميين فيها، وكان صاحب نفوذ، وجيها له علاقات وطيده مع القادة وأصحاب الشأن حتى من غير الفاطميين[٧]، بل الظاهر من عبارة منْ ذكره ممن أرخ له بأنه (استولى عليها قاضيها أبو طالب)[٨]، والاستيلاء يحتاج إلى قوة عسكرية لا مجرد نفوذ سياسي أو علاقات دبلوماسية.

وقد استفاد أبو طالب من ضعف الدولة الفاطمية عموما وفي الشام على نحو الخصوص، فقد دب الضعف فيها من سنة ٤١١، عندما تولى الخلافة الظاهر لاعزاز دين الله، رابع الخلفاء الفاطميين في مصر، والسابع منذ المهدي الإسماعيلي، (وكان المتغلبون على البلاد في أيام الظاهر كثيرين جدا وذلك لصغر سنه وضعف بدنه)[٩]، وقبل سنة الاستقلال، اعني قبل سنة ٤٦٢، صارت الشام مطمعا للسلاجقة والروم وزعماء القبائل[١٠]، وقد كان المتنفذ في مفاصل الدولة الفاطمية أمير الجيوش بدر الجمالي، الذي (انهى سلطة الخليفة الفاطمي المستنصر، وسيطر على الدولة سنة ٤٦٦.. ويقول ابن الأثير عن سيطرة بدر: فلما كانت ٤٦٦ ولي الأمر بمصر بدر الجمالي أمير الجيوش وقتل المركز والوزير وجماعة من المسلحية، وتمكن من الدولة إلى أن مات)[١١]، بل وأكثر من هذا فقد كان رئيس الرؤساء في مصر في سنة ٤١١ وما بعدها أبو الحسن عمار بن محمد الكلبي الكتامي[١٢]، وهو من عين أبا طالب ابن عمار قاضيا على طرابلس[١٣]، فلا يخلوا الأمر إما أن يكون الجمالي وغيره من الكتاميين من أمثال رئيس الرؤساء متواطين مع أبي طالب ابن عمار، أو أن تكون لأبي طالب قوة عسكرية كبيرة بحيث فرض سيطرته

٦–تاريخ الشيعة الثقافي السياسي الديني٢: ٣٤٦.
٧–تاريخ الشيعة الثقافي السياسي الديني٢: ٣٤٦.
٨–تاريخ أبي الفداء١: ٥٤٧.
٩–النجوم الزاهرة٤: ٢٥٤.
١٠–طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي: ٦٦.
١١–مستدركات أعيان الشيعة٧: ٢٤.
١٢–تاريخ الشيعة السياسي الثقافي الديني٢: ٣٦٠.
١٣–تاريخ مصر والشام: ٢٦٨.

على ولاية وانتزعها من الدولة الفاطمية وحماها من السلاجقة وغيرهم ممن كان له طمع في ولايات الشام، وهكذا قوة لا تأتي بيوم وليلة، بل تحتاج إلى سنين طويلة، وكلا الأمرين، من تواطي الجمالي أو قوة بني عمار العسكرية، يثبت ما قدمناه بأنهم كانوا يخططون للاستقلال من فترة فتنة الاتراك في مصر، وقتل جدهم، التي قدمناها في الحلقة الفائتة.

أمراء طرابلس من بني عمار

توالى على طرابلس أربعة أمراء من بني عمار في فترة استقلالها التي امتدت أربعين سنة تقريبا، حتى زوال دولتهم بسقوطها بيد الصليبيين، وإليك ترجمة مختصرة لهم:

أولهم: القاضي الجليل أمين الدولة أبو طالب الحسن أو عبد الله بن محمد بن عمار، وهو رجل عاقل سديد الرأي من فقهاء الشيعة، كان محبا للعلم والعلماء، حريصا على نشره، أسس مكتبة دار العلم في طرابلس، وله مؤلفات منها: كتاب جراب الدولة وهو في اقتصاديات الدولة الإسلامية وشؤونها الأخرى، وكان كريما كثير الصدقات معظما للعلويين، تسنم القضاء في طرابلس ثم استقل بها سنة ٤٦٢، توفي في شهر رجب من سنة ٤٦٤ [١٤].

ثانيهم: القاضي جلال الملك أبو الحسن علي بن عمار، تولى طرابلس بعد وفاة عمه أبي طالب، فـ(فضبط البلاد احسن ضبط، ولم يظهر لفقد عمه أثر؛ لكفايته)[١٥]، فقد استطاع تثبيت قواعد امارته، وحمايتها من السلاجقة والفاطميين على حد سواء، وقد جمع بين القوة العسكرية والحنكة السياسية، وهو ما ظهر جليا عندما حاصر تاج الدولة تتش السلجوقي طرابلس، وكذلك لم يخسر قوة الخلافة العباسية في بغداد، فقد كان يتعامل مع الجميع باستقلالية وندية ففي الحرب والقتال تجده محاربا شرسا وفي السلم سياسيًا دبلوماسيًا محنكا، هذا ما تستنتجه من مطالعة ترجمته عند من ذكره، واستطاع توسيع امارته فضم لها جبلة في سنة ٤٧٣، وحافظ على خط عمه أبي طالب بنشر العلم ورعاية العلماء[١٦]، فجدد فيها (دار العلم ودار

١٤-موسوعة طبقات العلماء٥: ٩٢.
١٥-الكامل في التاريخ٨: ٣٩٢.
١٦-طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي: ٦٨،

الحكمة، وذلك سنة ٤٧٢، لتكون مركزا من مراكز التشيع، فنشرت العلوم والآداب، وأصبحت طرابلس مباءة علم ودرس، ومباراة في التعلم، وجهز هذه الجامعة الدينية بمائة ألف مجلد، وربما كانت على عهده، قبل استيلاء الصليبيين عليها، أول بلدة علمية في الشام)[١٧]، وعثر في طرابلس على نقش في الخط الكوفي على لوح حجري مكسور، فيه: (بسم الله الرحمن الرحيم، انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر، وأقام الصلاة وآتى الزكاة، ولم يخشى إلا الله، فعسى أولئك يكونوا من المهتدين، هذا ما أنشأ تقربا إلى الله تعالى، ورغبة في ثوابه، القاضي(...) جلال الملك أبو الحسن علي بن محمد بن عمار في سنة(...) وأربع مائة..)[١٨]، توفي القاضي جلال الملك في شعبان من سنة ٤٩٢ [١٩]، وبعض من ترجم له ذكر أن وفاته غير معلومة التاريخ، وانه يستنتج أنها بعد ٤٩٠ [٢٠].

ثالثهم: القاضي فخر الملك عمار بن محمد بن عمار، تولى الأمارة بعد أخيه جلال الملك، وهو آخر أمراء طرابلس، استمرت امارته عشر سنين، انتهت عند سقوط طرابلس بالاحتلال الصليبي، ورغم قصر مدة أمارته واشتداد الأمر عليه، إلا أنه واصل ما بدأه عمه وأخوه، حتى عدوا كل طرابلس في زمنه دار علم[٢١]، وبلغت أوج عظمتها حتى أنها صمدت أمام الصليبيين وحيدة فريدة مدة سبع سنين[٢٢] محاصرة، وجيرانها من الفاطميين والسلاجقة تركوها بلا معين، ومن الشواهد على أزدهارها وغناها –غير ما سنذكره في العنوان الخاص– أنه عندما خرج إلى بغداد طالبا العون دفع مستحقات ستة أشهر[٢٣].

خيانة ذي المناقب

بيد أن فخر الملك تعرض للخيانة من أقرب الناس إليه، فعندما خرج إلى بغداد ترك ابن عمه أبا المناقب شمس الملوك أبا الفرج محمد بن عمار، بعد أن أخذ منه ومن قادته المواثيق والأيمان

وتاريخ الشيعة السياسي الثقافي الديني٢: ٣٦٥.
١٧–خطط الشام٤: ١٠٩.
١٨–طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي٧٠.
١٩–طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي: ٧٣.
٢٠–تاريخ الشيعة السياسي الثقافي الديني٢: ٣٦٩.

٢١– امارة بني عمار في طرابلس: ٤٧.
٢٢– تاريخ الإسلام ١٥: ٤٢٧.
٢٣– تاريخ دمشق٢٥٧.

على حفظه في غيبته، وما أن وصل فخر الملك إلى دمشق حتى تمرد ابن عمه عليه، واعلن انضمامه إلى الفاطميين في مصر، فلما عرف فخر الملك بالخيانة كاتب أصحابه يأمرهم بالقبض عليه وحمله إلى حصن الخوابي وحبسه فيه، وقد فعلوا ما أمروا به، وأكمل فخر الملك طريقه إلى بغداد[٢٤].

طلب النجدة

في شهر شعبان من سنة ٥٠١هـ اشتد أمر الصليبيين على فخر الملك، وتطاولت أيام حصارهم على طرابلس، وما من نجدة، لا من السلاجقة ولا من الفاطميين، فأرسل فخر الملك للأمير أرتق بن عبد الرزاق، احد أمراء دمشق، من أجل التشاور معه، فخرج إليه فخر الملك برا ومعه ما يقارب خمس مائة فارس وراجل، وحمل معه الهدايا والتحف، وكان قصده بعد دمشق بغداد، فالتقى بالأمير ارتق، واتفقا على المضي إلى دمشق للتشاور مع واليها، ومنها توجه إلى بغداد في الثامن من شهر رمضان من السنة المذكورة، ورافقه تاج الملك بوري ابن ظهير الدين أتابك.

وفي بغداد وعدوه خيرا، وصدرت الأوامر أن يذهب معه مدد عسكري، لكن بعد انهاء فتنة في الموصل، وصبر فخر الملك وطال به المقام، ولم ينجز له ما وعدوه به، فرجع إلى دمشق في النصف من محرم.

غدر الفاطميين

أقام فخر الملك في دمشق أياما ثم توجه إلى جبيلة التي استقطعت من امارته، ومعه عسكر من دمشق، واستطاع ارجاعها إلى طاعته، وفي هذه الأثناء أرسل أهل طرابلس إلى الأفضل الجمالي يطلبون منه أن يرسل لهم واليا في البحر ومعه الغلة والميرة، وأنهم سيسلمون له بلادهم، فأرسل الأفضل لهم شرف الدولة ابن أبي الطيب واليا ومعه ما أرادوا من الغلة والميرة، وما إن وصل الوالي الجديد حتى قبض على أهل فخر الملك وأصحابه وذخائره وآلاته وأثاثه وأرسلها جميعا إلى مصر بحرا[٢٥].

٢٤- تاريخ دمشق: ٢٥٧.

٢٥- ملخصا عن تاريخ دمشق: ٢٥٧ وما بعدها

سقوط طرابلس

وفي شعبان من سنة ٥٠٢هـ وصل امداد الصليبين بستين مركبا مشحونا بالافرنج والجنوبيين لريموند بن صنجيل، الذي كان يحاصر طرابلس، فنزل الجميع عليها واشتد القتال من بداية شعبان من السنة المذكورة حتى الحادي عشر من ذي الحجة من سنة ٥٠٢هـ، فاحكموا حصارها واسندوا ابراجهم إلى سور البلد حتى احتلوها، وانتهت حكومة القضاة الفقهاء الإمامية (بالسيف في يوم الاثنين لإحدى عشرة ليلة خلت من ذي الحجة من السنة، ونهبوا ما فيها، وأسروا رجالها، وسبوا نساءها وأطفالها، وحصل في أيديهم من أمتعتها وذخائرها ودفاتر دار علمها، وما كان منها في خزائن أربابها ما لا يحد عدده، ولا يحصر فيذكر)[٢٦].

٢٦- ملخصا عن تاريخ دمشق: ٢٦١ وما بعدها، ولمزيد من التفاصيل راجع طرابلس الشام تاريخها وآثارها في العصر الإسلامي: ٥٢ وما بعدها.

حدود طرابلس الشام

كانت امارة بني عمار أوسع بكثير من مدينة طرابلس ونواحيها، فهي تشمل بلدان كثيرة، فحدودها كانت تصل إلى انطاكية، ومن ناحية جبلة السورية تمتد إلى قلعة صافينا وحصن الأكراد والبقيعة، وفي لبنان تصل حتى أطراف بيروت، والهرمل، وبشرّي وبلاد العاقورة وشرق بلاد جبيل، وكانت جونية تعد من أعمال طرابلس[٢٧].

ازدهار طرابلس بني عمار

عرفت طرابلس بازدهارها التام، وهنا نتعرض لعناوين من ازدهارها.

علميا

صارت طرابلس بني عمار جامعة علمية متكاملة، قياسا بذلك الوقت، فقد كانت تضج بالعلماء والأدباء، وحلقات الدرس تزدحم في مساجدها بمختلف العلوم، وكانت مقصدا لطلاب العلم

٢٧- امارة بني عمار في طرابلس: ٣٨، وراجع طرابلس الشام تاريخها واثارها في العصر الإسلامي:١٥، وتاريخ الشيعة السياسي الثقافي الديني٢: ٣٩٩.

والعلماء والشعراء، (فبنو عمار حملوا القلم وامتشقوا السيف)[٢٨]، وقد كان يجري لطلبة العلم رواتبا[٢٩].

ومن انجازاتهم العلمية تأسيسهم دار العلم ودار الحكمة، التي اختلف النقل في عدد مجلداتهما، وقد نقل عن فخر الملك وهو في شيرز عندما وصله خبر استيلاء الصليبيين على طرابلس، أنه اغمي عليه وعندما افاق، قال والدموع تجري على خديه: (والله ما آسف على شيء كأسفي على دار العلم، فإن فيها ثلاثة آلاف ألف (يعني ثلاثة ملايين) كتاب، كلها في علوم الدين والقرآن والحديث والأدب، وقال: فيها خمسون ألف مصحف، وفيها عشرون ألف تفسير لكتاب الله)[٣٠]، وكان فيها مائة ألف وثمانون ناسخ ينسخون الكتب بالجرايات والجامكية، يعني الرواتب، وقد كانت تشترى له الكتب من البلدان، وكان فيها مجلدات كثيرة من كتب الفرس والعرب واليونان[٣١]، (وبين الكتب العربية عدد كبير منها بخطوط مؤلفيها، ومكتبة كهذه تحتاج إلى الإنفاق الكثير عليها لما تضمه من عاملين فيها ومشرفين عليها ونساخين وخطاطين ومترجمين ومجلدين ووراقين وباعة يحملون إليها نوادر الكتب مهما غلا ثمنها)[٣٢]، وقد احرقهما الصليبيون وراح جميع ما فيها.

ادبيا

قصد الأدباء والشعراء مع العلماء طرابلس إما طمعا بهبات أمرائها وعطاياهم، أو حبا بأجواء طرابلس المملوءة بالعلم والأدب، فقد كانت تقام فيها الملتقيات الأدبية بين الأدباء والشعراء، في أماكن مختلفة ومتعددة، مثل تلك التي في دكان العطار أبي الفضل النصراني، أو في متنزهات طرابلس، أو في أسواقها، وكان بنو عمار يقيمون المسابقات الشعرية تشجيعا منهم للأدب وأهله[٣٣].

٢٨- امارة بني عمار في طرابلس: ٧٠.
٢٩- تاريخ دولة آل سلجوق: ١٦٦.
٣٠- امارة بني عمار في طرابلس: ٧٨.
٣١- تاريخ الشيعة السياسي الثقافي الديني٢: ٢٩٧.
٣٢- تاريخ آل سلجوق: ١٦٧.
٣٣- امارة بني عمار في طرابلس: ٧٢، و تاريخ ال سلجوق ١٦٦.

زراعيا

يوجد نهر في طرابلس كان يعرف بقاديشا، ثم عرف بنهر (أبو علي)، وذلك لأنه كان يفيض فيلحق الضرر بالناس وحقولهم، فوضع فخر الملك خطة إنمائية لتنظيم الري منه ومنع فيضانه، وبما أن فخر الملك يكني بـ(أبو علي) صار النهر يحمل الكنية، وبعد اكمال العمل على النهر وقنوات الري ازدهرت الزراعة في أراضي طرابلس، وتنوعت حتى فاضت عن حاجة أهلها، وصاروا يصدرونها، فـ(عرفت طرابلس في كتب المؤرخين والرحالة بكثرة ما تنتجه من الفواكه والثمار، فقالوا فيها: إن فيها ما لا يوجد في سائر الأقاليم أصلا، إذ لا يكاد توجد دار بغير شجر؛ لكثرة غنى أرضها بالمياه، فهي تجمع بين ثمار الشام ومصر، والصليبيون عرفوا قصب السكر لأول مرة في بساتين طرابلس، ولم يكن يعرفونه قبل ذلك)[٣٤].

صناعيا

ازدهرت الصناعة في طرابلس بني عمار حتى صارت تصدر مصنوعاتها إلى البلدان الأخرى، بل حتى إلى أوروبا، فمما كان يصنع بها:

الورق: كان فيها معمل لصناعة الورق فاق بجودة ورقه كاغد سمرقند.

النسج: ذكر المؤرخون أن فيها أربعة آلاف نول لنسيج الأقمشة الصوفية والحريرية والقطنية.

معاصر السكر ومعامل تصنيعه: وكانت في داخل المدينة، وهي تنتج السكر على شكل رقائق، وناعم، وحلوى، وكانت تصدره إلى أوروبا.

التجليد: ونشأت لتجليد الكتب صناعة فنية على الطريقة الصينية من زخرفة وتوشيح بالخطوط الملونة.

وازدهرت بها صناعة الصابون ومعاصر الزيتون[٣٥].

أضافة إلى الاساطيل البحرية التجارية والعسكرية، وازدهار التجارة، وانتشار الثراء بين أهلها مما لوينا عنان القلم عن ذكرها مراعاة للإيجاز.

٣٤- امارة بني عمار في طرابلس: ٩٠.

٣٥- تاريخ الشيعة السياسي الثقافي الديني٢: ٢٠٨، وإمارة بني عمار في طرابلس: ٩١.

أقسام المجتمع العراقي

عبد الحسين الساعدي

تقسم المجتمعات تقسيمات عدة تختلف بلحاظ غرض من يقسم، فتارة يكون لحاظه الدين أو المذهب الديني، وآخر من تكون القومية هي اللحاظ، وثالثة السكن، ورابعة المهنة، وهكذا، والتقسيم الشائع عند العراقيين أنهم يقسمون أنفسهم إلى حضر، ومعدان وبدو، وهنا نريد تبيين خطأ شائع في التقسيم الشائع، بعد إعادته بشكل آخر.

اقسام المجتمع

تنقسم المجتمعات بصورة عامة، ومنها العراقية، إلى أصحاب سكن مستقر، وغيره، وهم الرحل، والأول يشمل سكان الحواضر والأرياف، والثاني يشمل الرحل من البدو والغنامة، وسنشرع ببيان كل قسم مع ما يرونه من مميزات لهم.

الحضر

أهل الحضر هم سكان الحواضر، التي هي المدن، ولا يختلفون عن غيرهم إلا في أسلوب السكن وكسب العيش، فهم يسكنون الدور المشيدة، المحصورة في مساحة محددة، ويعتاشون على مبلغ مالي ثابت إما بعنوان راتب شهري يتقاضونه بدل وظيفة أو عمل ما، أو بعنوان أجور يومية أو أسبوعية بدل عن عمل يقومون به، أو من تجارة أو غير ما تقدم، والعمل الذي يعملونه لا يستغرق اليوم بأكمله فهو ساعات معدودة يقضيها ويعود لمنزله للراحة، فالبيت المشيد يقيهم حر الصيف وبرد الشتاء، والمبلغ المالي وساعات العمل المحددة تضمن لهم الراحة في باقي ساعات نهارهم، وما تقدم يعده الحضري ميزة تجعله ينظر إلى غيره نظرة دونية، هذا الكلام في زمن كانت الحواضر لا يسكنها غير موظفي الحكومة ومن في خدمتهم ومن يعمل في التجارة، وجميعًا لا ينتمون للقبائل العراقية فهم إما أتراك أو أكراد أو لورية[1]، أو أفراد من القبائل هاجروا إلى المدينة لسبب يستهجنه غير أهل الحضر، أما الآن فلا

١- هم قومية تسكن جنوب غرب إيران، ويعدون خطأ من الكرد الفيلية وهم غيرهم.

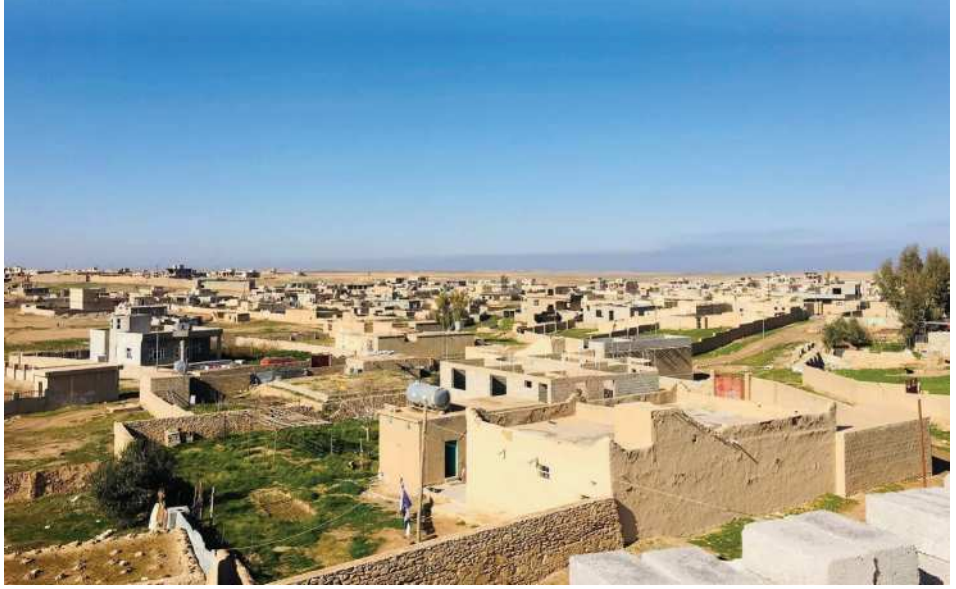

توجد مدينة في العراق فكلها تحكمها الأعراف العشائرية والعادات أكثر من قانون الدولة.

أهل الريف

سكان القرى أو الأرياف، وهم حلقة وصل بين أهل الحواضر وغيرهم من بدو وغنامة، وتكون مساكنهم مشيدة من الطين والقصب، وهي أقل كلفة من بيوت الحضر وأبسط منها، بيد أنها غير محصورة في مساحة محددة، وتكون على مصادر المياه من أنهار أو عيون، ويعتاشون على الزراعة وتربية المواشي، التي تكون من الأبقار، أما الجاموس والأغنام والجمال فهي قليلة

في القرى لما سنعرفه في العناوين الآتية، وأهل الأرياف يرون أن بيوتهم وزراعتهم وحيواناتهم توفر لهم حياة كريمة أفضل من أهل الحواضر الذين يعملون بأجر محدد، وطعامهم غير طازج، وأنهم خليط غير متجانس فكل عائلة تنتمي لعشيرة، وبالتالي لا توجد قوانين تحكمهم غير قوانين الحكومة التي لا تنصف المواطن، وهم أفضل من أصحاب السكن غير المستقر ممن حياته خلف حيواناته، وبيوتهم لا توفر لهم الراحة والحماية من البرد والحر.

المعدان

وهم يلحقون في سكان الأرياف إلا أنهم يسكنون قرب الأهوار، ويعتاشون على تربية الجاموس، والأبقار عندهم قليلة جدا، ولا اغنام عندهم ولا جمال؛ وذلك لأن طبيعة بيئتهم –الأهوار– لا تتناسب مع غير الجاموس الذي يعتمد بشكل أساسي على وفرة المياه، فالجاموس لا يتحمل حرارة المناخ وجفافه، والمعيدي يشبه البدوي فكلاهما صاحب نرجسية ويرى نفسه أفضل من الجميع بسبب قوة بنية جسده واعتماده على الحياة الخشنة، فغيره (نوام الظهر) أي يستيقظ بعد طلوع الشمس، وأسلوب حياتهم الناعمة تشبه حياة النساء، وأنهما –المعدان والبدو– اكثر حرية من غيرهم، فليسوا مجبرين على الحياة في وسط اجتماعي لا يرغبونه، فالبدوي إن تضايق من أمر شد بيته على جمله وانتقل إلى مكان آخر، والمعيدي لا يتحمل بيئته إلا من كان على شاكلته.

الغنامة

هم من يعتاش على تربية الغنم، ولهم تسميات مختلفة، ففي العمارة وغيرها يسمونهم بالعروبية أو العرب، وذلك لأنهم ينتسبون مباشرة لقبائل عربية بينة ومعروفة، من أمثال كنانة وطي التي منها بنو لام، وكعب وغيرهم، ويسمونهم البدو بالشاوية والحمارة، أما الشاوي فهي تسمية قديمة نسبة للشياه التي يربونها، أما الحمارة لاعتمادهم على الحمير بنقل الماء وحمل امتعتهم وبيوتهم التي هي خيام منسوجة من شعر الماعز، وتسمى (صهوة) وتجمع (صهاوي)، وعادة ما تكون بيوتهم أصغر من بيوت البدو كي تستطيع حملها حميرهم، ولأنهم لا يحتاجونها طيلة السنة، فهم يخرجون إلى المراعي في فصل الربيع فقط، إن كانت الأرض فيها كلأ وماء، وفي غيره يستوطنون قرب مصادر الماء ويعتمدون على المراعي التي تتوفر بعد الحصاد أو القريبة من المزارع، وهم يعتمدون نوعين من السكن مستقر، ويسمى في بعض الأماكن (جرية) أي قرية، وفيه ثقلهم من أثاث وغيره، و(عزيب)، وهو الترحال مع أغنامهم طلبا للمراعي، ولا يحملون معهم إلا الحاجات الضرورية، لذا يعدون حلقة وصل ما بين الريف

والبادية، فلاهم رحل في طول السنة ولاهم مستقرون فيها، وأسلوب العيش هذا يعده الغنامة ميزة لا توجد عند غيره فهم يجمعون بين حياة الريف المستقرة وحياة البدوي الحرة، وهم مثل اخوتهم أهل الريف والمعدان والبدو لا يرون فضيلة للمدينة حتى أنهم إن تحدثوا عن ساكنيها قالوا: (حشاك حضري).

البدو

هم سكان البادية يعتاشون على تربية الجمال، حياتهم في ترحال دائم، يتمتعون بنرجسية عالية جدا، فكل البشر أقل مرتبة منهم، لا فضل عندهم إلا لمن يمتلك الجمال ويمتهن الغزو والقتال، حتى أنهم يفتخرون بأن البدوي عمره قصير، أي أنه يموت وهو شاب قتلا، وهم متمردون غير خاضعين لأحد، فبيوتهم (خيامهم أو صهاويهم) فوق أظهر جمالهم، ما إن تضايقوا من أمر حتى طووها وحملوها على جمالهم ودخلوا عمق الصحراء، وقد قالوا عن بيوتهم بأنها بيوت عز؛ لأنها لا تجبر صاحبها على العيش قرب من يزعجه بذلة.

المصالح المشتركة

كل فئة مما تقدم لا تستطيع العيش دون الأخرى، فالحضري يحتاج الريفي –قلنا إن المعدان يلحقون بأهل

الأرياف– والغنام والبدوي، فهم من يوفر له الطعام من حبوب وثمار، وحليب ولحم، ويوفر المفروشات والملبوسات وما يدخل بصناعة الأثاث والدور من صوف ووبر وجلود وأخشاب وما شاكلها، والريفي: يبيع ما ينتجه من مزارعه وحيواناته في المدينة ويشتري ما يحتاجه، وكذلك الغنام والبدوي، إضافة إلى أن حيواناتهم من الخيول والحمير والجمال تعتبر الواسطة التي تسهل حياة الفلاح، فالخيول تحرث الأرض، والحمير تدوس البيدر، والجمال تنقل المحصول والبضائع.

التنابز

كل فئة مما تقدم ترى نفسها أفضل من أخواتها، وما تعده كل واحدة منهم ميزة يفتخرون بها، تعدها الأخرى منقصة تعيرها بها، فأهل الحضر: يعيرونهم بحضارتهم، فعند غيرهم هم مجرد حضر يخافون من السير ليلا، ولا يستطيعون حماية من يستجير بهم، وهم لفيف من غير العرب، لا يكرمون الضيف، يبيعون الطعام، أي لديهم مطاعم ومقاهي وفنادق، بيوتهم ضيقة، ومجبرون على مجاورة من يكرهون، حياتهم روتينية وليس فيها أية حرية، فإن تغيب عن العمل قل دخله.. إلى أخره، والريفي: يعير بأنه مجرد فلاح متخلف حياته مقترنة بزراعته وماشيته، تتعبه العوامل الجوية من مطر وبرد، خاضع لقوانين العشيرة وأعراف المنطقة التي يعيش بها، والغنام: يركض خلف نعاجة، يقاسي حر الصيف وبرد الشتاء، ويعيره البدوي بنعاجه فهي ضعيفة لا تستطيع دخول عمق الصحراء ولا يمارس الغنام بسببها الغزو؛ لأنه يحتاج حيوانات قوية تتحمل السير لمسافات طويلة، وهو غير مستقر مرة في الريف وأخرى في البادية[٢]، والبدوي: جلف حقود لا يميز بين الحلال والحرام، يمتهن القتل والسرقة إلى غير ذلك.

٢- مما سمعته من بعض رجالات عشيرة الأعاجيب، التي أصولهم من قبيلة شمر، وكانوا بدوًا وبعد أن استبصروا استقروا وصاروا غنامة. أنهم جرحوا ابن شيخ أحد القبائل البدوية في معركة واسروه فصارت أخته تنوح عليه وتتأسف؛ لأنه من تعدا عليه شاويا وليس بدويا، والشاوي رديف لكلمة شيعي، مثل المتاولة في لبنان خاص بشيعتها، والنخاولة في الحجاز لقب لشيعتها؛ لأنهم يزرعون النخيل، فالبدو أهل جمال كما قلنا والغالب عليهم بأنهم غير الشيعة، والغنامة الغالب عليهم أنهم شيعة.

الطب العدلي
حين تنطق الصمت الجثث

بقلم: مسلم عقيل القراغولي

في زاوية غامضة من مسرح الجريمة، حيث تخبو الأصوات ويختفي الشهود، وتتشابك الحقائق بالأسرار، نجد العلم الذي لا يكف عن البحث في التفاصيل الدقيقة، تفاصيلٌ غابت عن الجميع، لا يكتفي بمراقبة الماضي، بل يعيد تشكيله وبناءه، فكل كدمة، كل ندبة، كل خيط باهت قد يروي قصة ضائعة أو يكشف لغزًا تلاشى في طيات الجريمة.

منذ قرن من الزمن، في غرفة صغيرة في قسم فحص النماذج الطبية العدلية، تشهد أولى محاولات العراق لفحص الجثث، كان ذلك عام ١٩٢٠، عندما تولى طبيب بريطاني المهمة، يساعده طبيب عراقي يدعى الدكتور هاكوب جوبانيان، الذي كان أول اختصاصي بالأمراض الجلدية في العراق.

لم يكن الطب العدلي حينها علماً قائماً بذاته، لكنه كان يتشكل ببطء، حتى جاءت سنة ١٩٢١، حيث أسست أول وزارة للصحة في العراق مع قيام الدولة الحديثة، وأصبح الدكتور حنا خياط أول وزير للصحة. كان من أوائل من درسوا مادة الطب العدلي في كلية الطب عند تأسيسها عام ١٩٢٧.

لكن، ما هو الطب العدلي؟

ببساطة، هو ذلك العلم الذي يكشف أسرار الجثث، ويروي للقضاء قصة الموت، هل كانت طبيعية أم عنيفة؟ هل هي جريمة أم مجرد حادث؟ وتتكوّن تسمية «الطب العدلي» من شقين: «الطب»، وهو ما يتعلق بجسم الإنسان حيًّا كان أو ميتًا، ويُعد الأطباء وحدهم المؤهلين علميًّا لتقديم المشورة الطبية المرتبطة بالجسد البشري، لذا أُنيطت بهم هذه المسؤولية.

أما الشق الثاني من المصطلح، وهو «العدلي» أو «القضائي» أو «الشرعي»، فمرتبط بمفهوم العدل، الذي يعني الفصل في المنازعات بين الأفراد وإثبات الحقوق. ولما كانت أجهزة العدالة من قضاء ونيابة وتحقيق وشرطة هي المختصة بكشف الجرائم وإظهار الحق، فإنها تعتمد على الطب العدلي في تقديم الأدلة التي تُسهم في حل غموض القضايا.

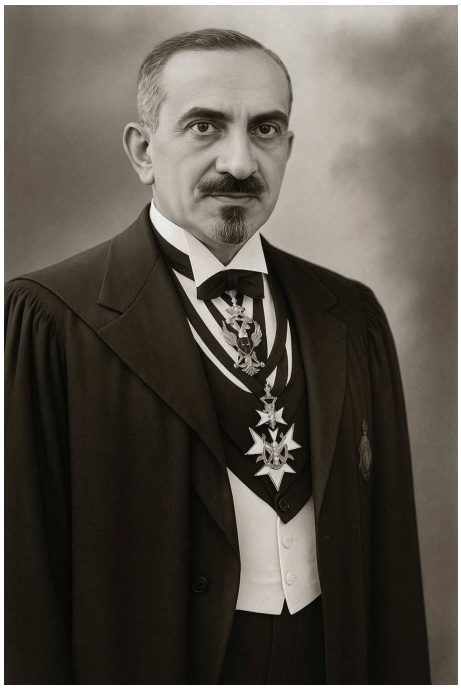

وعليه، يُعد الطب العدلي تخصصًا طبيًّا يُسخّر العلوم الطبية لخدمة العدالة، سواء من خلال إثبات الوقائع أو نفيها. ويُستعان بالطبيب العدلي، باعتباره خبيرًا فنيًّا محايدًا، لكشف الغموض في الجانب الطبي من القضايا التي تُعرض على القضاء. لقد ولّى زمن «الاعتراف سيّد الأدلة»، وحلّ محله الدليل العلمي الذي تُبنى عليه قناعة القاضي، مما يُضيق هامش الخطأ، ويجعل أحكام العدالة أكثر دقة وإقناعًا.

يختلف تطبيق الطب العدلي بين الدول. ففي بريطانيا، نجد نظام «التاج البريطاني»، وكان الطبيب العدلي فيه يُعرف بلقب «الشريف» وهو يجمع بين المعرفة الطبية والخبرة القضائية، وقراره قاطع في تحديد ما إذا كان يجب تشريح الجثة أم لا. هذا النظام صارم، إذ تصل نسبة الجثث المشرحة فيه إلى ٩٥–٩٩٪ من مجموع الوفيات، فهو يهدف الى معرفة سبب الوفاة، وهذا ما يجعل تشريح الغالبية العظمى من الجثث أمرًا ضروريًا. ولذلك فهو يتطلب إمكانيات كبيرة وكوادر متخصصة، ما جعله صعب التطبيق في كثير من الدول النامية.

أما في أوروبا ومعظم الدول العربية، ومنها العراق، فيسود نظام مختلف، يُعرف بالنظام «القاري الأوروبي» هنا، لا تُشرَّح جميع الجثث،

بل يقتصر الأمر على الحالات المشتبه بها، فالهدف الأساسي هو الكشف عن الجرائم وليس معرفة سبب الوفاة، فلا يتم تشريح كل الموتى، لكن الفحص لا يتم إلا بأمر من قاضي التحقيق، لأن لكل جثة حكاية، لكن ليس كل حكاية تستحق أن تُروى.

الطب العدلي في العراق: تاريخ عريق وقضايا مفصلية

يُعدّ الطب العدلي في العراق من أقدم أجهزة الطب الشرعي في الوطن العربي، وقد لعب دورًا محوريًا في إسناد العدالة وكشف الحقائق في القضايا الكبرى، مستندًا إلى خبرة علمية ومهنية راقية. ومن أبرز روّاده الأوائل: الدكتور حنا خياط، والدكتور أحمد عزت القيسي، والدكتور وصفي محمد، وغيرهم ممن رسّخوا قواعد هذا التخصص، واستمرّ من جاء بعدهم على نهجهم في خدمة العدالة بحيادية ومهنية.

منذ تأسيس الكلية الطبية العراقية عام ١٩٢٧، كان للطب العدلي حضورٌ في المناهج، وبدأ تدريسه فعليًا عام ١٩٣٠، وتأسس معهده على يد الدكتور أحمد عزت القيسي عام ١٩٣٢ بعد

عودته من التخصص. تنقل المعهد إداريًا بين وزارات الداخلية والعدل والصحة، لكن بقي الطبيب العدلي خاضعًا لضميره وخبرته دون تأثير من تبعيته الإدارية.

ومن أبرز المحطات التاريخية التي ارتبط بها الطب العدلي في العراق، قضية وفاة الملك غازي. يروي الدكتور جلال حمدي، أحد الأطباء الذين حضروا الحادث، أن الملك نُقل إلى القصر الملكي مصابًا بإصابة خطيرة في الرأس إثر اصطدام سيارته بعمود كهرباء. وبعد معاينة أولية من قبل فريق طبي ضم الدكتور صائب شوكت والدكتور سندرسن، تقررت وفاته. ورغم إعلان تقرير فوري يصف الحادث بأنه عرضي، فقد اعترض أطباء كثيرون، ونُقلت الجثة إلى لجنة طبية موسعة برئاسة الدكتور أحمد عزت القيسي لإجراء فحص عدلي دقيق ووضع تقرير نهائي.

ويؤكد الدكتور جلال أن الملك كان فاقدًا للوعي منذ وقوع الحادث حتى وفاته، نافيًا كل ما نُشر لاحقًا حول أقوال نُسبت إليه. ورغم الشكوك التي راودت البعض – وعلى رأسهم والدة الملك التي اتهمت البريطانيين – يؤكد الدكتور جلال أن الوفاة كانت قضاءً وقدرًا، مشددًا على ضرورة توثيق الحقيقة للتاريخ.

أعمدة ورموز

الدكتور أحمد عزت القيسي: مؤسس الطب العدلي العلمي في العراق.

من أبرز رواد الطب العدلي في العراق، فقد وضع النواة الأولى لهذا التخصص علميًا وعمليًا. تخرّج في جامعة مونبيليه بفرنسا عام ١٩٣١، ثم نال دبلوم الطب العدلي من جامعتَي باريس وأدنبرة، وعاد إلى العراق عام ١٩٣٢ ليُعيّن طبيبًا شرعيًا في مديرية الشرطة العامة.

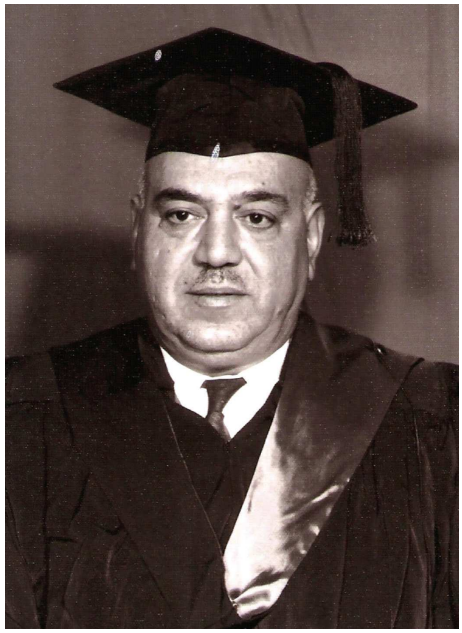

كان له دور محوري في إدخال المصطلحات الطبية العدلية باللغة العربية، وساهمت أبحاثه ومؤلفاته في تطوير هذا الحقل علميًا على مستوى العراق والعالم العربي، وأشهرها كتابه المشترك «الطب العدلي» (١٩٥٠). كما أسس دراسة الدبلوم في الطب العدلي عام ١٩٧٢، ليكون بذلك ركيزة أكاديمية لهذا التخصص.

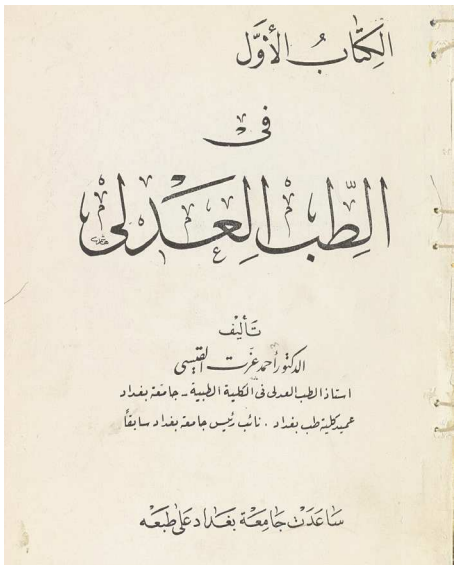

عرف القيسي بدقته وصرامته العلمية، وكان يجري التشريحات بنفسه ويشرف على صياغة التقارير الطبية الشرعية، ملتزمًا بأعلى درجات السرية والمهنية، ما جعل معهد الطب العدلي تحت قيادته مرجعًا علميًا موثوقًا في خدمة العدالة.

الدكتور وصفي محمد

من أوائل أطباء الطب العدلي في العراق، وأحد أبرز روّاده. وُلد عام ١٩٠٩ وكرّس حياته لهذا الاختصاص، إذ عمل فيه لأكثر من ٤٥ عامًا قدّم خلالها إسهامات علمية بارزة، جعلت من مؤلفاته مراجع معتمدة في كليات الطب والقانون والشرطة في العراق والعالم العربي. ارتبط اسمه بعدد من القضايا الجنائية البارزة التي شكّلت منعطفات في التاريخ الحديث، من بينها التحقيق في مقتل الملك غازي واغتيال وزير المالية رستم حيدر، إلى جانب حوادث أخرى غامضة تطلّبت دقّة الطبيب وحكمة الخبير. تقاعد وأعيد إلى الخدمة أكثر من مرة بقرارات استثنائية، تقديرًا لكفاءته ودوره المحوري في تطوير هذا الاختصاص الدقيق.

لا يقف الطب العدلي عند تشريح الجثث وتحديد أسباب الوفاة فحسب، بل يمتد ليشمل أدوات وتقنيات دقيقة تُسهم في كشف الحقيقة. ويمكن القول إن هذا التخصص يقوم على ثلاثة أركان رئيسية: التشريح العدلي، والتحقيق في مسرح الجريمة، والفحوصات المختبرية المتقدمة.

ومن بين هذه الأخيرة، تبرز بصمات الأصابع بوصفها واحدة من أقدم وأدق وسائل التعرف على الهوية الجنائية، وقد لعبت دورًا محوريًا في تطور التحقيقات الجنائية، لاسيما حين تتعذر الأدلة المادية الأخرى.

لذا سيكون من المفيد أن نتوقف عند هذه التقنية، لنستعرض أسسها العلمية، وموقعها ضمن منظومة الطب العدلي الحديث.

ونعود بالتاريخ الى القرن الماضي.

امرأةٌ سائرةٌ في الطريق، لقيها رجلٌ فتحدث إليها ثوان، ثم إذا به يخطف حقيبة يدها ويولي الأدبار، وتصرخ المرأة، ولكن الرجل كانت تنتظره سيارة ما أسرع ما اختفت به، ولم يتبين للناس من أمر السيارة شيئ.

ويأتي رجال الشرطة يبحثون.

كانت طريقة الشرطة في ذلك أنها تحتفظ لديها بأسماء كل المجرمين بالحي، وتعلم أن المجرم لا بد عائدٌ الى مثل جريمته، وإذن يكون أول ما تفعله أن تعرض على المرأة صاحبة الحقيبة صوراً من هؤلاء المجرمين لعلها تتعرف على أحدهم وتقول نعم هذا هو الخاطف، وقد تحضر الشرطة بعض المشبوهين، وقد تخلطهم بغيرهم، وذلك قصد صدق التعرّف على الخاطف.

ونقول هذه طريقة الشرطة، وهي طريقة الشرطة القديمة التي لا تساير الزمن، خصوصًا عندما يكون الإجرام أخطر من خطف حقيبة، كأن يكون قتلًا مثلًا.

وهنا يتدخل الباحث في صدق هذه الطريقة أو بطلانها، في الذاكرة الإنسانية، كم تصدق، والى كم من الوقت يكون الإنسان في حاجة الى النظر لكي يذكر، ثم بعد ذلك الى كم مدى من الزمن تستطيع الذاكرة أن تحتفظ بالصورة أو الصور التي رأت.

وقد تبين أن الذاكرة الإنسانية تختلف من إنسان لإنسان، وكثيرًا ما يدخلها الهوى من حيث لا تدري، فترى الإجرام في شخص وتحسب أنها رأته، ويصدقها الناس، وتصدقها الشرطة، ثم يتبين أن هذا الشخص كان بحيث لم يكن من الممكن أن تراه قط.

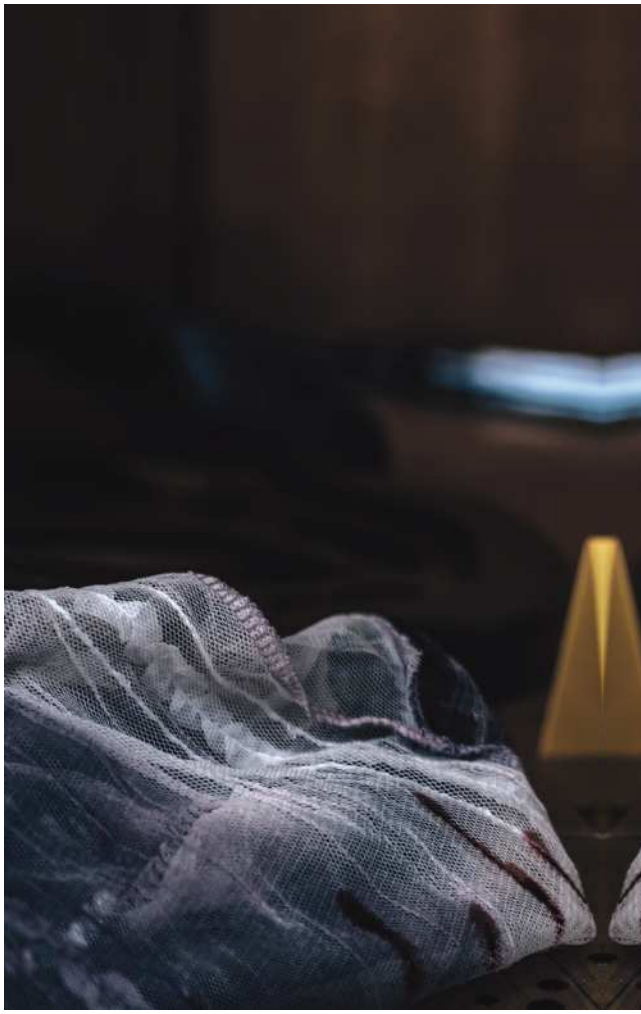

وننتقل الآن في التاريخ الى لندن.

حيث وضع رجال شرطتها القواعد العامة في التعرف على المجرمين، وابتدعوا في ذلك من التجارب ما ابتدعوا، ثم نقل عنهم سائر الأمم ما وصلوا إليه، في كثير من التحوير والتدوير. كان التعرف على المجرم هناك، في أواخر القرن الماضي، كما كان في سائر الأرض، لا يسير على قاعدة، ولم تكن هناك قواعد...

حتى في حوادث العنف والقتل، ترتكز على شهادة الشهود، من شرطة وغير شرطة، ممن يزعم أنه رآه رأي العين. وحدثت حوادث مفجعة بسبب ذلك. من ذلك أن رجلًا، اسمه أدلف بك Adolph Beck، شهدت عليه نساء بأنه احتال عليهن، واستلبهن مالاً وغير مال، وتبينوه بعد ذلك في الطريق، ونادوا الشرطة فقبضت عليه، وحكم عليه بالسجن، مرت خمس سنوات، ثم أطلق، وبعد سنوات طويلة يجري لبعض النساء مثل ذلك الذي جرى أول مرة، ويتعرفن على نفس الرجل في الطريق،

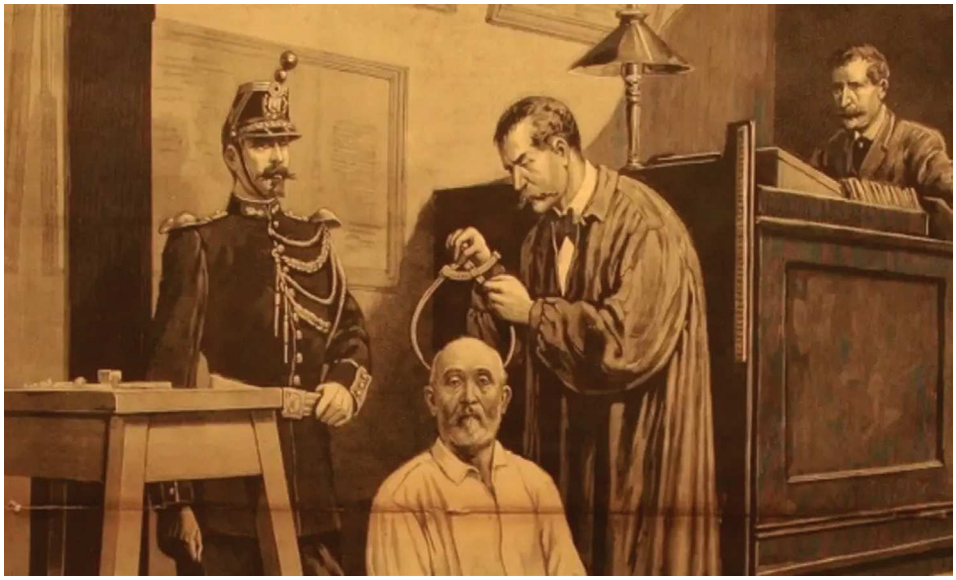

ويسجن ٧ سنوات، ثم وهو في السجن تعود الجريمة على نفس هذا الأسلوب، ثم يتضح أن الرجل المسجون بريء، وان المجرم غيره، ويقبض على المجرم.

وتقوم الصحف تلعن الشرطة، وتلعن الحكومة، وتقول أفي عصر العلم (كان هذا في العشرة الأخيرة من القرن التاسع عشر) يحدث مثل هذا!؟

وأقامت الحكومة البريطانية في عام ١٨٩٤ لجنة تنظر في كيفية التعرف على من عادته الإجرام، وكيف يتألف سجل يحتوي من صفات المجرم أو المشتبه فيه ما يكفل الرجوع إليه عند الحاجة حتى لا يؤخذ البريء بجرم غير البريء.

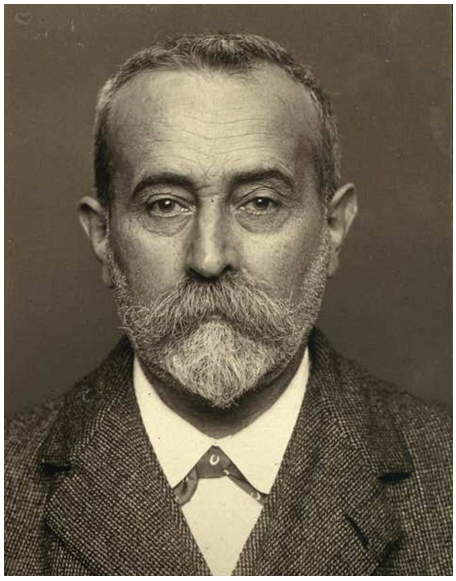

وكان في فرنسا رجل يدعى ألفونس برتيون، وكان رئيس سجل المجرمين في باريس، وكان ابتدع نظامًا لتسجيل المجرمين بناء على آراء الأستاذ لمبروزو

Lumbrose في تورين Turin بايطاليا. ويقضي هذا النظام بأخذ مقاييس دقيقة لأجسام المذنبين في سجونهم، حتى إذا عادوا الى الإجرام أمكن التعرف عليهم بغير خطأ، أو حتى إذا قامت حولهم شبهة أو أصابهم اتهام وهم بين الناس طليقون.

أوصت اللجنة باتخاذ هذا النظام لتسجيل المجرمين، وبأن يفتح اسكتلنديارد الجديد New Scotland Yard (وهو الاسم الشهير في العالم، وهو مركز البحوث الإجرامية في بريطانيا) أن يفتح سجلا يدخل فيه كل الأوصاف التي ذكرها نظام هذا الفرنسي.

ومن عام ١٨٩٤ أخذت كل السجون تقيس من السجناء: طول الرأس، عرض الرأس، طول الأصبع الوسطى في اليد اليسرى، طول القدم اليمنى، طول الذراع اليسرى.

وهذه المقاسات الخمس للفرز الأول للمجرمين .ولزيادة تصنيفهم من بعد ذلك تقاس الأشياء الآتية: طول جذع الرجل وهو قاعد، طول الأذن اليمنى، عرض الوجه، طول الأصبع الوسطى من اليد اليمنى، لون العين.

وقامت عقبات في سبيل هذه القياسات، فهي أولًا كان لا بد أن تقاس بالمتر، والانجليز لم يتعودوا إلا على القياس باليادرة والبوصة، ثم قياس جسم مجرم! بعض المجرمين يطيع، وبعضٌ يشاكس ولا تنفع معه حيلة، أو هو عند القياس لا يستقيم. ثم هذه القياسات لم يكن عليها من يراجعها، فقبلها المكتب الرئيسي للجريمة في اسكتلنديارد على علّاتها.

ولم يمض طويل من الزمن حتى اتضح بما لا يدع للشك مكانًا أن هذه المقاسات لم تبلغ الدقة الواجبة، وهي لا نفع لها بغير الدقة، لهذا أنشأت الحكومة لجنة جديدة تنظر في الأمر من جديد .وانتهت اللجنة الى القول بأن طريقة برتيون الفرنسي طريقة لها قيمتها، ولكنها لا تنفع في الظروف القائمة في بريطانيا عند ذاك.

ثم بحثت اللجنة في التعرف على الأشخاص بواسطة بصمة أصابعهم، ولم يكن بالطبع عرف الناس عن هذه الطريقة الكثير، ولا كان عرف عنها الكثير من العلماء. ثم تراءى للجنة أن تجمع بين الطريقتين، طريقة قياس الجسم وطريقة بصمة الأصابع.

كان من أوائل من لاحظوا أن بجلد الأصابع بروزات ذات أشكال معينة الأستاذ بركنجي Purkinje أستاذ التشريح وعلم وظائف الأعضاء بجامعة برسلاو ببولندا. وفي عام ١٨٥٨ أثبت السير وليم هرشل أن الشكل الذي رسمته الطبيعة على جلد باطن الأصبع يدل على صاحب هذا الأصبع ويثبت فرديته. وفي عام ١٨٧٧ ابتدع الدكتور هنري فولدز طريقة وضع البصمة على الورق باستخدام حبر المطابع. وفي عام ١٨٩٢ أثبت السير فرنسيس جالتون أن صورة البصمة لأي إصبع تعيش مع صاحبها طول حياته فلا تتغير.

وعلى الرغم من ذلك بقيت هناك في أمر هذه البصمات ريبة ظلت منتشرة بين الناس وحتى بين القضاة حينًا. لم يصدق الناس ما قال العلماء عن البصمات، وأنها تدل على الفرد الواحد وحده، وأنها تدوم طول حياته مع أن شكله يتغير .وممن عارضوا هذه البصمات محاكم اسكتلندا وقضاتها، قالوا عنها أنها (بدعة جديدة) ورفضوا أن يعملوا بها. وجرت في المحاكم الاسكتلندية محاكمات عن جرائم قتل، أدين فيها غير جناتها، وذلك بسبب أن هذه المحاكم لم تأخذ بشهادة البصمات.

ومضت الشرطة تسجل سجناء السجون والمجرمين بقياس الأجسام على طريقة برتيون، وكذلك تأخذ بصمات أصابعهم، وكان لا بد أن يمضي وقت حتى تتكون في السجلات أعداد كبيرة من البصمات يمكن الرجوع إليها، فهي مراجع يرجع إليها عندما يأتي الى الشرطة متهم بالإجرام جديد.

ولم يتجمع العدد الكافي النافع من البصمات لتبدأ الشرطة باستخدامه في التعرف على الأشخاص إلا في عام ١٩٠٢، وفي هذا العام استخدمت الشرطة هذه السجلات للتعرف على ٦٨٢٦ حالة، تعرفت منها على هوية ١٧٢٢ شخصًا.

هذه هي الأشكال الثمانية الرئيسية التي إليها صنفوا بصمات الأصابع. ولكل شكل من هذه فروع، واستمدوا منها فروعًا ، بحيث صار من الممكن،

الأنشوطة الجيبية المركزية

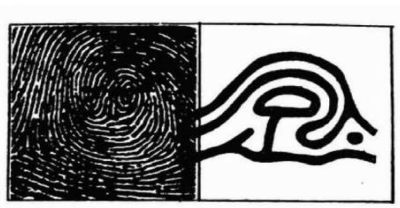
العرضية

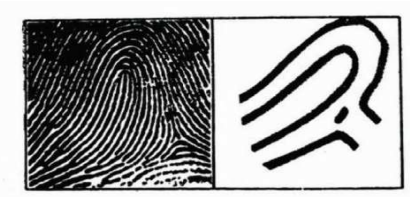
ذات الأنشوطة الكُعبرية

الدوامة البسيطة

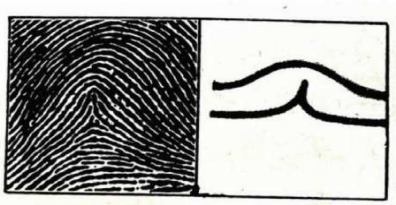
ذات القوس ذي رأس الخيمة

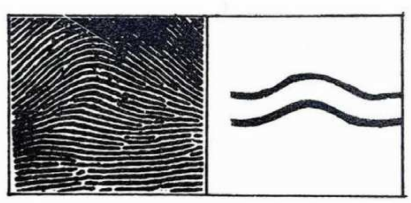
ذات القوس البسيط

الأنشوطة المزدوجة

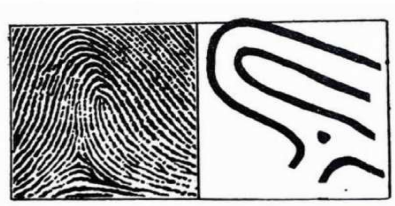
ذات الأنشوطة الزّندية

إذا أرسل أحدٌ الى الشرطة بصمة نشأت في جريمة قائمة، درسوها وردوها الى صنفها من بين تلك الأصناف العديدة. ثم قارنوها ببصمات الصنف الأخير الذي انتهوا إليه، وتعرفوا على صاحبها إن كان لها في السجل مثيل، وكان في مكتب المباحث الفدرالية بالولايات المتحدة نحو من ١٧٠ مليون بصمة محفوظة في السجلات.

القانون لا يكفي

لا بد من إقناع الشعب بهذا تقضي الروح الديمقراطية.

واحتاج اقتناع الشعب بالبصمات بعض الوقت .وحوادث قتل جرت في انجلترا، ذعر لها الناس، وغضبوا، وكان همهم كشف المجرم أو المجرمين، فلما كشفت البصمات في هذه الحوادث عن مجرميها، ثبت إيمان الناس بها، وتأكد عندهم صدقها.

جريمة دبتفورد الشهيرة

إنها الجريمة التي كان أهم أشخاصها، لا القتلة ولا المقتولين، ولكن بصمة الأصبع التي كشفت عن الجريمة بما لم يدع هناك مجالا للشك أبدًا. وهي الجريمة التي قضت على الشك الذي ساور الناس، في أي مكان كان، ولكل الأزمان.

إنها مدينة دبتفورد Deptford بانجلترا، عاش بأحد شوارعها المستر توماس فارو وزوجته، وكان بيتهما منزلاً ودكانًا لبيع الزيت، ظلا يعملان فيه عشرين عامًا، وكانا قد بلغا السبعين من عمرهما. وجاءهم هذا بالقدر الكافي من الكسب بُلغةَ عيش.

ولكن جرت في الحي إشاعة بأن المستر فارو رجل ثري، وانه يحتفظ في بيته أو دكانه بقدر كبير من المال.

وفي صبيحة ٢٧ مارس ١٩٠٥ وصل الى الدكان المساعد الذي كان يعينهما في البيع والشراء. ولما وجد الباب مغلقًا في مثل تلك الساعة من الصباح على غير عادة، دقه ثم دق، فلما لم يجد جوابًا، اتصل بالشرطة .وجاءت الشرطة واقتحمت الباب فوجدت الرجل الشيخ راقدًا على الأرض محطمًا وقد فارق الحياة، ووجدت أثاث الدكان مقلوبًا، ودرجًا تحفظ فيه النقود وجدوه انتزع بقفله انتزاعًا ووقع على الأرض.

وطلبوا الزوجة فوجدوها في حجرة نومها، قد ضربوها حتى حطموها وافقدوها الوعي، وحملتها الشرطة الى المستشفى وماتت دون أن تعي. ونوجز القصة فنقول ان الشرطة استخدموا سجلاتهم لمعرفة المشبوهين في الناحية، وبدأوا يسألونهم أين كانوا ليلة الجريمة، وكان من بينهم شاب في الثانية والعشرين من عمره اسمه الفرد ستراتون ولم يستطع إقناع الشرطة بأين كان في تلك الليلة.

ثم حدثت المفاجأة!

رئيس قسم البصمات في الشرطة كان يفحص المخلفات في الدكان، فوقع على بصمة اصبع، كانت هي بصمة الشاب الفرد ستراتون .وكانت البصمة في الغد على الصفحات الأولى من صحف لندن، وسموها البصمة التاريخية التي حسمت أمر البصمات، واحتفظوا بها في المتاحف، وفي الكتب، ذخيرة من ذخائر التاريخ .وانك لواجد صورتها مع هذه الكلمة كما ظهرت في أحد المصادر.

صورة تاريخية، حفظتها السجلات جميعا للبصمة الأولى التي ذهبت بشكوك الناس في قيم البصمات ودلالتها على الإجرام، الى الأبد، في كل قطر من أقطار العالم. وهي البصمة التي كشفت عن المجرم في القصة الأخيرة التي أوردناها في النص، قصة جريمة بلدة دبتفورد.

والبصمة التي الى اليمين هي بصمة الرجل المشتبه فيه وقد أخذتها الشرطة من إصبعه، والبصمة التي الى اليسار هي البصمة التي وجدها المحققون على حرف صندوق النقود، وهو بأسفل

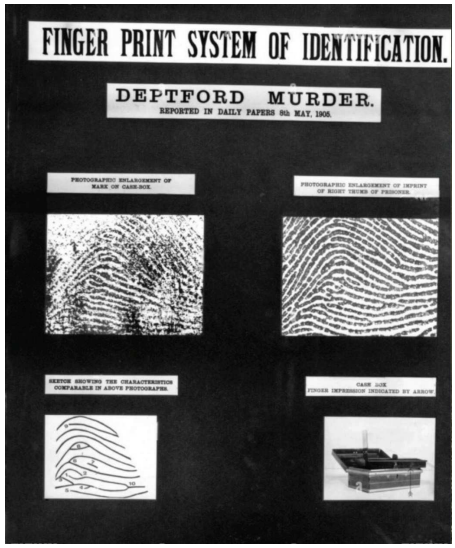

الصورة الى يمين. أما الرسم الذي الى جانب الصندوق الى اليسار، فهو تحليل أجراه مصنفو البصمات للبصمة ليضعوها بعد ذلك في سجلاتهم في وضعها الصحيح.

تصنيف البصمات سابقًا:

كانت سجلات الشرطة تحتوي على مئات الألوف من البصمات، بل ملايينها، فإذا جاءت الشرطة ببصمة لرجل مشتبه فيه، يراد مقارنتها ببصمات لمجرمين سبقت، فلعله أحدهم، فكيف تصنع الشرطة لتبحث عن مثل هذه البصمة الواحدة بين مئات الألوف من البصمات أو ملايينها؟

عمل يتطلب سنين

ولهذا عمدوا الى تصنيف البصمات، فهي رغم اختلافها في التفاصيل تتشابه في كثير من الأشكال. وجعلوها أشكالاً أساسية أربعة وفق ما بها من خطوط متماوجة، على بساطة، ولا شيء غير هذا. ووفق ما بها من أنشوطة مفتوحة أو أخرى مغلقة، وهكذا.

ومنهم من جعل الأشكال الأصلية ثمانية، وفرّعوا هذه الأشكال بعد ذلك حتى يخرج من الصنوف صنوف.

فإذا جاءت الشرطة بصمة، درسوها أولاً ليعرفوا صنفها الأخير، ثم ردوها الى ما عندهم من بصمات هذا الصنف وتبينوا إن كان لصاحب هذه البصمة سجل إجرام لديهم .

وكان عمل التصنيف هذا من أخطر الأعمال الذي جعل الشرطة تكشف عن المجرم المشتبه فيه في وقت غاية في القصر.

أما اليوم، فتحتوي قواعد بيانات الشرطة على ملايين البصمات المرقمة، تُجمع من مسارح الجريمة والمشتبه فيهم، أو حتى من المواطنين في بعض الدول كجزء من إجراءات التوثيق الرسمي. فإذا قُدمت للشرطة بصمة

غير معروفة، فإن الأمر لا يتطلب سوى ثوانٍ قليلة لمقارنتها بملايين البصمات المخزنة، بفضل أنظمة الذكاء الاصطناعي وتقنيات التعرف البيومتري المتقدمة.

لكن هذا الإنجاز التقني ما كان ليكون ممكنًا لولا وجود نظام دقيق لتصنيف البصمات، وهو نظام التصنيف الذي ذكرنا. فقد اعتمدت الأنظمة الحديثة على هذه التصنيفات الكلاسيكية، وطورتها عبر خوارزميات قادرة على تحليل أدق تفاصيل البصمة، ومقارنتها وفقًا لملايين النقاط الحيوية.

عندما تصل بصمة إلى النظام، تُحلل تلقائيًا، ويُحدد نمطها الأساسي ثم تُقارن بجميع البصمات المشابهة من ذات النمط في قاعدة البيانات. وفي كثير من الحالات، يكشف النظام هوية صاحبها خلال لحظات، حتى إن لم يكن مسجلاً كمجرم، بل من خلال قاعدة بيانات مدنية موسعة.

لم يعد تصنيف البصمات عملاً يدويًا شاقًا كما كان في الماضي، بل أصبح اليوم من أعمدة العمل الأمني الرقمي، وأحد أهم أدوات العدالة الجنائية، تسنده السرعة والدقة التي توفرها التكنولوجيا الحديثة.

إن الإجرام ذو كلفة، وهو يقتضي إضاعة وقت العلماء، وإضاعة وقت رجال الشرطة، ولكن الإجرام بعض الحياة، فكلفته هي بعض ضريبة هذه الحياة.

مستشفى الكفيل التخصصي

تقنيةٌ جراحيةٌ متقدمة

تعيد البصر لطفل فقد بصره بحادث

تحرير : رشا الخالدي

نجح فريق طبي متخصص في مستشفى الكفيل التخصصي بإجراء عملية جراحية دقيقة لمريض يبلغ من العمر ١٤ عاماً، من محافظة بابل، كان يعاني من جرح في قرنية العين ومياه بيضاء.

وذكر الدكتور حيدر عباس، اختصاصي جراحة العيون في المستشفى، ان الطفل كان قد أجرى عملية جراحية غير ناجحة في أحد المستشفيات الأخرى قبل عدة أشهر.

وأوضح عباس، تطلبت حالة المريض إجراء عملية جراحية متقدمة، حيث تم قص السائل الزجاجي في العين اليمنى المصابة وزراعة عدسة بطريقة نوعية، تعرف بـ«طريقة تعليق العدسة داخل صلبية العين»، لافتًا إلى انه تم اللجوء إلى هذه الطريقة نظرا لفقدان المريض محفظة العدسة بشكل كامل، مما جعل الطرق التقليدية لزراعة العدسة غير مناسبة، وقد مكنت هذه الطريقة إلى جانب الأجهزة المتطورة والخبرات الكبيرة في مستشفى الكفيل من تحقيق نتائج ممتازة.

رواية

الجنس البشري
مستقبل مفعم بالأمل

عدنان الياسري

الكتاب

في التاريخ والاجتماع للمؤرخ الهولندي «روتجر برجمان»، يطرح المؤلف في هذا الكتاب فكرة أن الناس محبون للخير بطبيعتهم، ويقترح رؤية جديدة للعالم تستند إلى النتائج الطبيعية لهذه النظرة المتفائلة للبشر، كما يجادل ضد الأفكار الشائعة عن الأنانية الأساسية للبشرية وحقدها.

وتقوم منهجية الكتاب على دراسة متعددة التخصصات للأحداث التاريخية، وفحص الدراسات العلمية، والحجج الفلسفية لتعزيز رأي المؤلف بهذه النظرة.

صدر الكتاب عام ٢٠١٩ وقد ترجم إلى أكثر من ٣٠ لغة. صدر عن دار التنوير بيروت ٢٠٢٢.

الكاتب

روتجر كريستيان بريجمان مؤرخ وكاتب هولندي مشهور.

ولادته

ولد بريجمان في مدينة رينيسي، والده قس بروتستانتي، بينما والدته معلمة احتياجات خاصة.

دراسته

حصل على درجة البكالوريوس في الآداب في التاريخ من جامعة أوتريخت عام ٢٠٠٩.

وأيضًا حصل على درجة الماجستير في الآداب في التاريخ عام ٢٠١٢، جزئيًا في أوتريخت وجزئيا في جامعة كاليفورنيا، لوس أنجلوس، ركزت دراساته العليا على المدن والولايات والمواطنة.

وكان عضوا في جمعية الطلاب المسيحيين.

عمله وأعماله

بدأ العمل كصحفي يكتب بانتظام لمجلة إلكترونية، وقد تم ترشيحه مرتين لجائزة الصحافة الأوروبية عن عمله هناك وتم نشر مقالاته وأيضا نشر أربعة كتب في التاريخ والفلسفة والاقتصاد، منها كتاب «يوتوبيا للواقعيين، كيف نبني العالم المثالي»، الذي ترجم إلى اثنتين وثلاثين لغة. نشرت أعماله في صحف واشنطن بوست والغارديان وبي بي سي. وصفته الغارديان بأنه «المبدع الهولندي صاحب

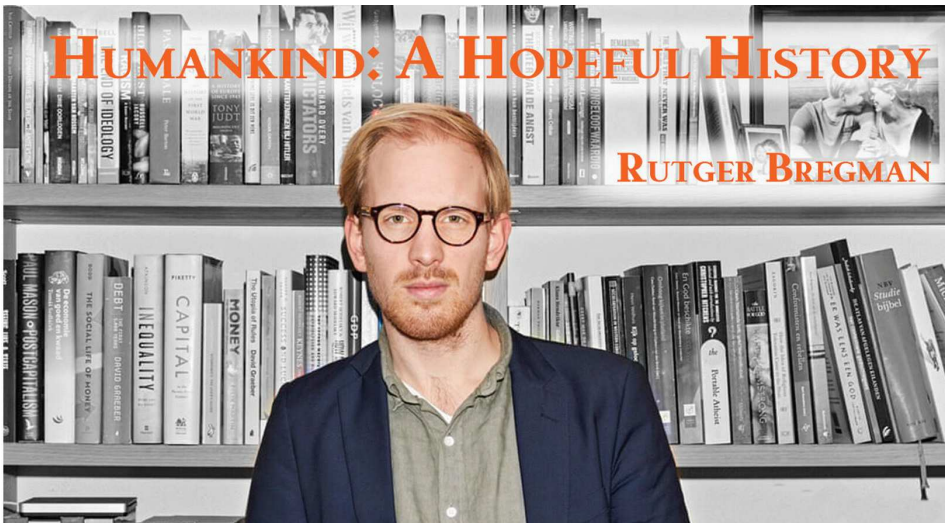

الأفكار الجديدة»، ووصفته محاضرات تيد بأنه «أحد أبرز المفكرين الشباب في أوروبا». وقد اختاره كريس أندرسون، أمين معرض تيد، ضمن أفضل عشرة محاضرات لعام ٢٠١٧.

مضمون الكتاب

رغم ان فكرة الكتاب تتقاطع مع رؤية كثير من الاتجاهات الأنثروبولوجية الحديثة، التي تؤكد أن العنف والإرهاب منتج حداثي، لم يكن في الماضي بهذا الحجم الكارثي الذي ينذر بالخراب في عالم اليوم. إلا ان المؤلف روتجر بيرغمان استند في عمله إلى دراسات معاصرة وتحليلات تاريخية تدعم فكرته بأن البشر يفضلون السلوك التعاوني والاجتماعي على الكراهية والعنف، محاولاً دفع المتشائمين لإعادة التفكير في مبرراتهم.

يقدم المؤلف في هذا الكتاب نظرة في التاريخ الإنساني منذ ٢٠٠،٠٠٠ سنة، ليثبت بالأدلة أننا طيبون، ننزع إلى التعاون لا إلى التنافس، ولدينا ميل فطري إلى الثقة بعضنا ببعض فيقدم بريجمان رؤية إيجابية للسلوك البشري من خلال هذا العرض المثير للسياسة والأدب وعلم النفس وعلم الاجتماع والفلسفة، من أجل إثبات نظريته عن أن الجنس البشري مفطور على الخير، ويعيد تقييم بعض من أكثر السرديات رسوخا في الثقافة العامة.

في كتاب الجنس البشري... يرصد الكاتب الاتجاهين المتقابلين، الذين مثلهما الفيلسوف الإنجليزي توماس هوبز (١٥٨٨ – ١٦٧٩) في كتابه «اللفياثان» والفيلسوف الفرنسي جان جاك روسو (١٧١٢ – ١٧٧٨)، حيث يجد الأول أن الحياة بمجملها ما هي إلا حرب الكل ضد الكل في سعار محموم، ويكمن الحل من وجهة نظره في تخلينا عن حريتنا وإسلام أنفسنا جسدًا وروحا، لسلطة ملك متفرد، وقد كانت هذه الفلسفة المرجع المعتمد للكثير من الحكام المستبدين، الذين يرون أن التراخي في سلطتهم المطلقة سيفضي بالحتمية إلى سيادة الفوضى وضياع كل شيء. بينما يجد روسو أن الإنسان خير بطبيعته، وبسبب مؤسسات المجتمع المدني وحدها يصير البشر أشرارا ويقصد بها مؤسسات المجتمع الحديث آنذاك.

ثم يحدثنا المؤلف عن نظرية القشرة

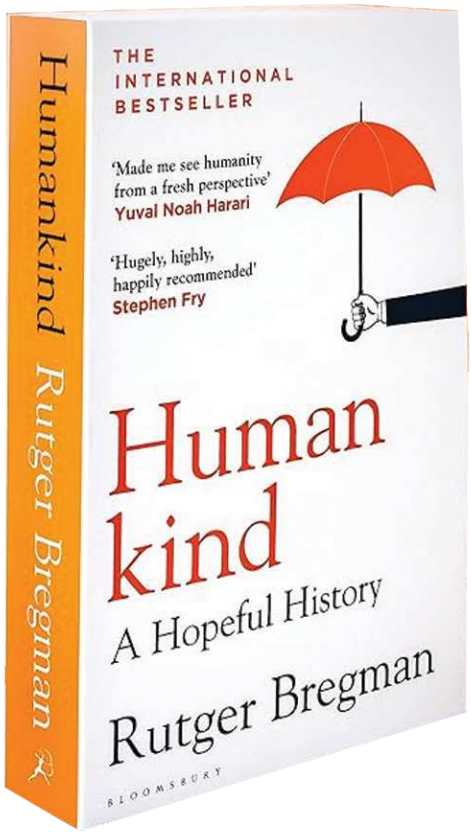

التي تقول: إن المدنية الحديثة طبعت البشر المعاصرين بالعنف والنزوع إلى الشر، لكن ما أن تحيق بهم الأزمات حتى تتصدع هذه القشرة الرقيقة ويهرع الناس للتعاون والاهتمام بالمصابين والجرحى والمحتاجين، وهذه القشرة ليست منتجا عفويا بريئا قدمته الحضارة، بل هو فلسفات يدفع بها ويروج لها أصحاب المصالح الكبرى، فالحروب التي يقررها أفراد قلائل يمثلون المصالح الكبرى لشركات أو لمصالح اقتصادية عابرة للقارات اليوم، لا تعبر عن بنية الإنسان الطبيعية بل هي تعبير عن مصالح ضيقة ومسيطرة تفرض على المجتمعات ما ليس من طبيعتها، لننظر اليوم على سبيل المثال إلى ما تفعله الشركات المصنعة للسلاح ولأدوات الحرب المدمرة، إلى شركات التبغ والنفط والمخدرات، انهم يفرضون أنماطا قهرية يطبعون بها مجتمعات برمتها. ولننظر أيضا إلى العالم الذي تقدمه شبكات عالمية، مثل هوليود ونتفليكس وأمازون وغيرها كثير، عالم يضج بالعنف والقتل وجرائم الاغتصاب والحروب وغزو الفضاء، معظمها أمور موجودة حقاً، لكنهم يكررون تضخيمها والتهويل منها، ليصار إلى جعل الفرد البشري يعيش فيما يشبه الفأر الخائف المترقب المتوتر دوما، لأنه بهكذا حال يسهل قياده وتوظيفه وفرض القوانين عليه، أي جعله عبدا فردا للنظام المتسيد.

إن هذا الطرح الذكي والمطمئن يدحض كثيرا من الموروث الثقافي عن الجانب المظلم من الطبيعة الإنسانية. كما ويدافع المؤلف عن أننا لسنا ذلك الجنس المتوحش، الجشع،

العنيف، الضاري الذي يمكن أن ننقاد للاعتقاد بأننا هو، فيقدم طرحا مقنعا لإعادة تشكيل المؤسسات والسياسات والتوافق مع الخير الإنساني. وهناك امثله تساق لتأييد هذه الفكرة بأننا نجد في كثير من المجتمعات الإنسانية، التي ابتعدت قليلا عن مناخات الحرب والتفقير، نزوعًا قويًا إلى الفلسفات والممارسات التي تدفع الإنسان للعودة إلى طبيعته السلمية الخيرة، وهاهم ملايين الأوربيين والأميركيين اليوم، حتى من ابتعد منهم عن مفهوم الإيمان الديني يملأون المعابد البوذية ومراكز التأمل والقبول بالدعوات السلمية والتسامح والمصالحات في المجتمعات المتنازعة، وما هذا إلا شكلا من أشكال عودة الانسان إلى طبيعته الأصلية.

ثم يخلص الكاتب في خاتمة الكتاب إلى ما يشبه الوصايا العشر، ويسميها «عشر قواعد يجب أن نحيا بها وهي:

حين يساورك الشك افترض الأفضل

فكر في سيناريوهات تحقق الفوز لجميع الأطراف

اطرح المزيد من الأسئلة

- خفف من تقمصك العاطفي وتدرب على التعاطف
- حاول فهم الطرف الآخر وإن لم تفهم دوافعه
- أحب أناسك مثلما يحب الآخرون أناسهم

- تجنب الأخبار
- لا تكلم النازيين
- أفصح عن نفسك لا تخجل من فعل الخير
- كن واقعياً

اقتباس من الكتاب

لو كان هناك اعتقاد جامع لطرفي النقيض من بين علماء النفس والفلاسفة والمفكرين القدماء والمعاصرين، فهو الافتراض الضمني بأن البشر أشرار. إنه مفهوم احتل عناوين الصحف وشكلت القوانين التي تحكم حياتنا على أساسه: فمن ميكيافيللي إلى هوبز ومن فرويد إلى بينكر، زرعت جذور هذا الاعتقاد عميقا في الفكر الغربي، تم تعليمنا أننا كأبناء الجنس البشري أنانيون بطبيعتنا وتحكمنا الغرائز البدائية.. ولكن ماذا إذا لم يكن هذا الافتراض صحيحا؟

قيل في الكتاب

قيل: يقول ستيفن فري عن الكتاب بأنه «بمنزلة إعلان في غاية القوة عن الإيمان بالخير الفطري واللطف الطبيعي للبشر... فروتجر بريجمان يدافع عن أننا لسنا ذلك الجنس المتوحش، الجشع، العنيف، الضاري الذي يمكن أن ننقاد للاعتقاد بأننا هو».

وفي المقابل قيل: لن يستطيع هذا الكتاب رغم حججه الهائلة والتي تأنس إليها النفس، في حسم المسألة القديمة «هل الإنسان بطبعه ميال للخير أم للشر؟» فأنصار الرأي الآخر يملكون أيضا آلاف القصص والجرائم والمفاسد التي تدلل على مدى توحش هذا العالم الذي نعيش فيه، لكن كاتبنا يدفع بكل عزيمة تبشيرية لتغيير نظرة من يطالعه تجاه الحياة، فيعزز التفاؤل بغدٍ أجمل، وهذا ما تفعله الثورات التي يبذل أصحابها دماءهم في سبيل انجاحها، للعبور إلى غد أكثر عدالة وأكثر حرية وأكثر جمالاً، ولو تخيلنا عالماً يميل إلى الضفة الأخرى حيث يقرع هوبز طبول الحرب المنذرة بالفوضى والعنف لغدا العالم أكثر قتامةً وأشد بؤساً وتوحشاً.

الحلقة الثالثة العشرون

الناصحون

موقف الإمام الحسين من نصح الناصحين

الشيخ علي الغزي

تتمّة نصح عبد الله بن جعفر

دلّت النصوص المتقدِّمة في نصح عبد الله بن جعفر على أمور: زمان النصح، تحرّك عبد الله بن جعفر بمستويين، نصحه، جواب الإمام(ع) عنه، رسالة الأمان، جواب الإمام(ع) عن الرسالة، وسنأتي عليها تباعًا إن شاء الله تعالى.

زمان النصح

يظهر من نصّ ابن أعثم الكوفيّ، أنّ نصح عبد الله بن جعفر، كان بعد أن بلغ أهل المدينة أنّ الإمام الحسين(ع) عازم على التوجّه للعراق، أي: قبل توجهه فعلًا، ومن المعلوم أنّه -عليه السلام- خرج للعراق قبل يوم التروية.

لكن يظهر من نصّ رسالة والي المدينة في نصّ ابن الأعثم -أيضًا- أنّ ذلك كان بعد أن بلغ الإمام الحسين -عليه السلام- خبر استشهاد مسلم بن عقيل -رحمه الله- ومن المعلوم أنّه بلغه ذلك بعد خروجه إلى العراق.

ويؤيّد ذلك نصّ الطبريّ الظاهر في كون زمان النصح كان بعد الخروج، حيث قال: «لمّا خرجنا من مكّة كتب عبد الله بن جعفر بن أبي طالب إلى الحسين بن عليّ مع ابنيه عون ومحمّد»

نعم، يمكن التوفيق بين الزمانين بأنّ الزمان الأوّل -أعني: قبل الخروج إلى العراق- كان زمان بلوغ خبر إرادة توجّه الإمام(ع) للعراق إلى أهل مكّة، وتحرّك عبد الله بن جعفر نحو كتابة

الكتاب له، والزمان الثاني –أعني: بعد الخروج وبلوغ خبر مقتل مسلم بن عقيل– كان زمان انضاج كتاب الوالي إلى الإمام(ع) وتوجهه له.

تحرّك عبد الله بن جعفر

لمّا بلغ أهل مكّة ومنهم عبد الله بن جعفر خبر توجّه الإمام الحسين(ع).

يبدو أنّه بلغهم الخبر بطريقين:

الطريق الأوّل: عن طريق الوافدين من مكّة إلى المدينة خصوصًا في تلك الفترة التي كانت في موسم الحجّ، ومن الطبيعيّ أن يقع اهتمام منهم في شأن الإمام الحسين(ع) فهو الشخصيّة الأبرز والحدث الأبرز في تلك الأيّام.

وما نقله الوافدون يُحتمل فيه أمران:

أحدهما: أنّهم نقلوا ما سمعوا من رغبة الإمام(ع) في التوجّه إلى العراق بعدما وصله من كتب أهل الكوفة، ويظهر أنّ ذلك كان أمرًا متداولًا في المجتمع المكّي، بل عموم الحجّاج، ويشهد له دخول ابن الزبير وابن عبّاس على الإمام(ع) ونصحه بعدم الخروج بعدما سمعوا برغبته في ذلك.

الآخر: أنّهم نقلوا ما رأوه فعلًا من خروج الإمام الحسين(ع) نحو العراق، وأنّه خرج بثقله وأسيافه كما وصف ذلك الفرزدق.

الطريق الثاني: كتاب الإمام الحسين(ع) لأهل مكّة حينما خرج متوجّهًا نحو العراق، فقد روي في معتبرة «حمزة بن حمران، عن أبي جعفر(ع) قال: ذكرنا خروج الحسين(ع) وتخلُّف ابن الحنفيّة عنه، فقال: يا حمزة، إني سأحدِّثك من هذا الحديث بما لا تشكّ فيه بعد مجلسنا هذا، إنّ الحسين –صلوات الله عليه– لما فَصَل متوجّهًا إلى العراق دعا بقرطاس وكتب فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، من الحسين بن عليّ إلى بني هاشم، أمّا بعد، فإنّه من لحق بي استُشهد، ومن تخلَّف عني لم يبلغ الفتح، والسلام»[1].

ولمّا بلغهم الخبر تحرّك عبد الله بن جعفر في مستويين:

المستوى الأوّل: كتب بنفسه كتابًا للإمام

١– دلائل الإمامة: ص١٧٨، ح١٢.

بادر ابن جعفر –رحمه الله– فكتب للإمام الحسين(ع) كتابًا ينصحه فيه بعدم التوجّه نحو العراق، وأرسله بيد ابنيه، وأخبر الإمام(ع) بأنّه قادم على إثرهم، ونصّ ما كتبه بنقل الطبريّ: «أمّا بعد! فإنّي أسألك بالله لما انصرفت حين تنظر في كتابي؛ فإنّي مشفق عليك من الوجه الذي توجَّه له أن يكون فيه هلاكك واستئصال أهل بيتك، إن هلكت اليوم طُفِيء نور الأرض، فإنّك علم المهتدين ورجاء المؤمنين فلا تعجل بالسير، فإنّي في أثر الكتاب والسلام».

ونظيره في نصّ ابن أعثم مع اختلاف يسير حيث قال: «أمّا بعد! أنشدك الله أن لا تخرج عن مكّة، فإنّي خائف عليك من هذا الأمر الذي قد أزمعت[٢] عليه أن يكون فيه هلاكك وأهل بيتك؛ فإنّك إن قتلت أخاف أن يطفأ نور الأرض، وأنت روح الهدى وأمير المؤمنين(ع)، فلا تعجل بالمسير إلى العراق؛ فإنّي آخذ لك الأمان من يزيد وجميع بني أميّة على نفسك ومالك وولدك وأهل بيتك والسلام».

وقد تضمّنا بشكل عام الأمور الآتية:

أوّلًا: طلب أن لا يتوجّه الإمام(ع) إلى العراق. نعم، في نصّ ابن الأعثم طلب (أن لا يخرج) ممّا يدلّل على أنّه كتب

٢- أزمع الأمر وأزمع عليه إذا ثبت عزمه على إمضائه. أساس البلاغة: ج١، ص٤٢١.

الكتاب والإمام(ع) لا زال في مكّة، بينما في نصّ الطبريّ طلب (الانصراف) فإن كان مراده الانصراف بما فعل خارجيّا اقتضى أنّه كتب الكتاب والإمام(ع) قد خرج بالفعل إلى العراق، وإن أراد الانصراف بما فعل جانحيّا، وذلك بترك نيّة الخروج إلى العراق اقتضى أنّه كتب الكتاب والإمام لازال في مكّة.

ثانيًا: بيان سبب الطلب، أوضح ابن جعفر –رحمه الله– السبب وراء طلبه عدم الخروج للعراق، وهو خوفه على الإمام(ع) من القتل، بل وقتل أهل بيته معه، وأنّه بموته ينطفئ نور الأرض؛ لكونه روح الهدى وعلمه ورجاءهم.

ثالثًا: عدم التعجُّل، كأنّ ابن جعفر –رحمه الله– خفف من طلبه بعدم الخروج أصلًا إلى طلب عدم التعجُّل والتريُّث في الخروج إلى حين ما يلحقه، وأنّه سيحاول طلب الأمان له.

رابعًا: أنّه في الأثر، في نصّ الطبريّ ذكر ابن جعفر –رحمه الله– أنّه سيلحق بالإمام(ع) وأنّه في إثر الكتاب قادم، ولكن من دون أن يُبيّن الوجه في قدومه وغرضه منه، بينما في نصّ ابن الأعثم بيّن ذلك، وأنّه سيسعى في استحصال أمان له ولأهل بيته من بني أُميّة على نفس الإمام(ع) وماله وولده وجميع أهل بيته.

ممّا يكشف أنّ تفكيره كان منصبًّا على كون المشكلة أشبه ما تكون بمشكلة شخصيّة بين الإمام(ع)والحكومة، وأنّها تنحلّ بمثل ذلك الأمان.

ولعلّه من هنا سيكون من ضمن جواب الإمام(ع) له هو أنّه لو كنت في جحر هامّة من هوام الأرض لاستخرجوني ويقتلوني، وأنّهم ليعدينَّ عليّ كما عدت اليهود على السبت.

المستوى الثاني: التحرُّك العمليّ

بعد أن كتب ابن جعفر –رحمه الله– إلى الإمام(ع) تحرّك نحو السلطة في المدينة من أجل الحصول على أمانٍ للإمام(ع)، وبالفعل حصل على ذلك، وقام بالذهاب إلى الإمام(ع) وأدركه بالفعل قبل الوصول إلى الكوفة، ودار بينهما حوار وجواب، وسيأتي تفصيل ذلك في الحلقة القادمة إن شاء الله تعالى.

أسئلة يجيب عنها بعض أساتذة الحوزة العلمية في النجف الأشرف

ملحوظة: الأجوبة وفق فتاوى المرجع الديني الأعلى
السيد علي الحسيني السيستاني (دام ظله)

السؤال:

هل صلة الرحم واجبة ؟

الجواب:

صلة الرحم واجبة على المسلم، وقطيعته من الكبائر، وإذا كانت صلة الرحم واجبة وقطيعته من الكبائر التي توعّد الله عليها النار، فإن شدة الحاجة الى صلة الرحم في الغربة أهمَّ، ومراعاتها أولى في بلدان يقلَّ فيها الإخوان، وتتفكك فيها العوائل، وتتآكل فيها الأواصر الدينية، وتطغى عليها قيم المادة.

وقد نهى الله سبحانه وتعالى عن قطيعة الرحم فقال في محكم كتابه الكريم (فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمَّهم وأعمى أبصارهم).

وقال الإمام علي(ع) «إنَّ أهل البيت ليجتمعون ويتواسون وهم فجرة فيرزقهم الله، وإن أهل البيت ليتفرقون ويقطع بعضهم بعضا فيحرمهم الله وهم أتقياء».

وروي عن الإمام الباقر(ع) أنه قال: «في كتاب علي ثلاث خصال لا يموت صاحبهن أبداً حتى يرى وبالهن: البغي وقطيعة الرحم، واليمين الكاذبة يبارز الله بها، وإن أعجل الطاعة ثواباً لَصلةُ الرحم، إن القوم ليكونون فجَّاراً فيتواصلون فتنمى أموالهم ويثرون، وإن اليمين الكاذبة وقطيعة الرحم لتذران الديار بلاقع من أهلها». تحرم قطيعة الرحم، حتى لو كان ذلك الرحم قاطعا للصلة تاركا للصلاة، أو شاربا للخمر، أو مستهينا ببعض أحكام الدين، كخلع الحجاب وغير ذلك بحيث لا يجدي معه الوعظ والإرشاد والتنبيه بشرط أن لا تكون تلك الصلة موجبة لتأييده على فعل الحرام.

قال نبينا الكريم محمد(ص): «أفضل الفضائل: أن تصل مَن قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمّن ظلمك».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تقطع رحمك وان قطعك». ولعلّ أدنى عمل يقوم به المسلم لصلة أرحامه مع الامكان والسهولة، هو أن يزورهم فيلتقي بهم، أو أن يتفقد أحوالهم بالسؤال، ولو من بعد. قال نبينا الكريم محمد(ص) «إنَّ أعجل الخير ثوابا صلة الرحم».

وقال أمير المؤمنين(ع): «صلوا أرحامكم ولو بالتسليم، يقول الله سبحانه وتعالى(واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إنَّ الله كان عليكم رقيبا)».

وعن الإمام الصادق(ع): «إن صلة الرحم والبرِّ ليهوّنان الحساب ويعصمان من الذنوب، فصلوا أرحامكم وبرّوا باخوانكم، ولو بحسن السلام ورد الجواب».

تمور
الكفيل
ALKAFEEL

جودة تستحق ثقتك

شركة الكفيل للصناعات الغذائية — 0772 721 02 62 0773 004 00 28

صدر حديثاً

عن مركز المرتضى لإحياء التراث والبحوث الإسلامية

العميد

في تفسير كتاب الله المجيد (الجزء الرابع)

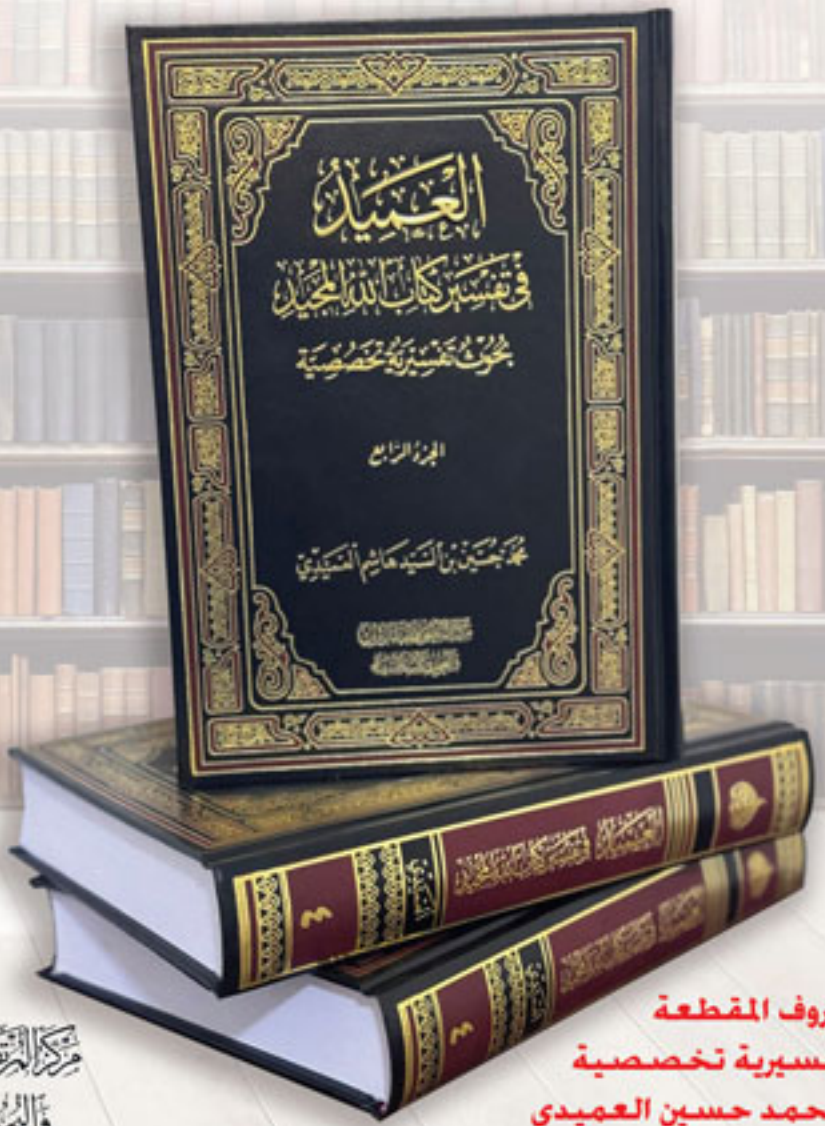

بحث الحروف المقطعة
بحوث تفسيرية تخصصية
للسيد محمد حسين العميدي

مركز المرتضى لإحياء التراث والبحوث الإسلامية